الباب السادس

الوهابية
آثارها
ما كتب عنها

عقيدتنا

هذه عقيدتنا في الكتب التي بين أيديكم ، فان كان فيها ما يخالف كتاب الله فردّونا عنه .. والحكم بيننا وبينكم كتاب الله وما جاء في كتب الحديث والسنة .

اننا لم نطع « ابن عبد الوهاب » وغيره ، إلا في ما أيّدوه بقول من كتاب الله وسنة رسوله .

... وقد جعلنا الله ، أنا وآبائي وأجدادي ، مبشرين ومعلمين بالكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح .

ومتى وجدنا الدليل القوي في أي مذهب من المذاهب الأربعة ، رجعنا اليه وتمسكنا به .

وأما إذا لم نجد دليلاً قوياً ، أخذنا بقول الإمام أحمد .

فهذا كتاب « الطحاوية » ، في العقيدة ، الذي نقرأه ، وشرحه : للاحناف .

وهذا تفسير « ابن كثير » ، وصاحبه شافعي ..

— الملك عبد العزيز —

من خطبتين له في مكة ، إحداهما عام ١٣٥٣ هـ.

الوهّابي

إن كان تابع «أحمد» متوهباً
فأنا المقرّ بأنني «وهـابي»!
أنفي الشريك عن الإله فليس لي
رب سوى المتفرد الوهـاب.
لا قبةٌ ترجى، ولا وثنٌ، ولا
قبرٌ له سبب من الأسباب
والابتـداع وكل أمر محدث
في الدين، ينكره أولو الألباب..
وأمرّ آياتِ الصفات، كما أتت،
بخـلافِ كل مؤول مرتاب..

ملا عمران بن رضوان

الفصل الأول

تعريف أهل السنة – الحنابلة وأهل الحديث . الوهابيون : حنابلة دعوا الى الاجتهاد وفتحوا الابواب بين المذاهب الاربعة . صفة الحركة الوهابية – الوهابية في اللغة

توطئة

ينقسم المسلمون في العالم الى قسمين كبيرين ، وهما :

١ – السنيون ، أو « السنة » .

٢ – الشيعيون ، أو « الشيعة » .

وهناك فرق صغيرة ، تعرف بأسمائها ، قد يدخلها بعضهم تحت اسم الشيعة خطأ ، لأن الشيعة المعتدلين ليسوا بعيدين عن أهل السنة ، بينما تختلف الفرق المذكورة عن السنة اختلافا كبيرا .

والسنيون هم أكثرية المسلمين الكبرى في العالم ، ويتوزعون في أربعة مذاهب مشهورة :

١ – المذهب الحنبلي

٢ – المذهب المالكي

٣ – المذهب الحنفي

٤ ـ المذهب الشافعي

وهذه المذاهب الأربعة كلها متفقة في الأصول ، وفي كثير من الفروع ، وليس بينها اختلافات كبيرة الخطر .

تعريف أهل السنة

يطلق اسم السنة ، أو السنيين أو أهل السنة ، على المسلمين الذين يتبعون أحد المذاهب الأربعة المذكورة .

واذا أردنا تعريف السنة تعريفاً « موضوعياً » ، لا من خلال المذاهب التي ينتمي اليها أهلها ، قلنا ، مع « ابن غنام » ، ان المراد بالسنة :

طريق النبي (ص) . ، التي كان عليها هو وأصحابه ، السالمة من الشبهات والشهوات .

ثم صارت السنة ، في عرف كثرة من العلماء المتأخرين ، هي السالمة من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الايمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة .

الحنابلة والسلفية

اشتهر الحنابلة بأنهم أكثر أهل السنة تمسكاً بالحديث وبما كان عليه السلف الصالح ، ولذلك سموهم : أهل الحديث ، والسلفين ، مع أن طريقة أهل الحديث أو السلفية ، لا يخلو منها مذهب سني ، ويعرف أصحابها بتعلقهم بالاسلام في صفائه الأول وبساطته ، وانكارهم البدع ، وكراهيتهم للطرق والزوايا .. والدراويش .. والفقراء أو الصوفية .. والمتكلمة .

ويصف ابن سند أهل الحديث بالشدة، وأنهم كانوا ، منذ زمن الدولة العباسية ، يثورون على الخلفاء، بسبب أن الجهاد في اعتقادهم ركن من أركان الدين .. وكانوا يسمونهم : « الحنابلة » ، و « أهل الحديث » ، في ذلك الزمن ، ويقولون :

« قام الحنابلة ، وثار الحنابلة ، وكسر الحنابلة حانات الخمور، وأدّبوا على شربها.

وكان بينهم وبين العباسيين مقاتلات وحروب .

ثم ثارت منهم فرق بالمشرق وبجزيرة الأندلس ، ويسمون : « الظاهرية » ، وهم أيضاً أهل الحديث ، وكانوا ينكرون المناكير مع الغلاظة ، ويثورون على الملوك وأكثرهم يموت بين قتيل وطريد ..

ثم في دولة يوسف صلاح الدين ، ظهرت لهم فرق ، وكانوا يسمون أهل الحديث ، ولهم ثورات وعداوات مع الملوك أيضاً ، وينكرون المنكر مع الغلاظة ..

وتسلسلوا إلى زمن ابن تيمية الحراني وتلاميذه ابن مفلح وابن القيم وابن عبد الهادي .

ثم ظهرت هذه الفرقة .. في القرن الثاني عشر ، ويسمون : « الوهابيين » ، نسبة الى محمد بن عبد الوهاب ، والا في الحقيقة أفعالهم وآثارهم أفعال الحنابلة الأقدمين ، وهي أفعال أهل الحديث في القرون المتوسطة وأفعال أهل الظاهرية ، فالمعنى واحد ، وإنما في كل عصر يسمون باسم ، على اصطلاح ذلك العصر . »

لا يرى ابن سند ، في وصفه لأهل الحديث ، الا ما كان من ثوراتهم على الملوك وشدتهم في الانكار على الناس ، وما ظهر من غلاتهم الذين تجاوزوا الحدود المعقولة أحياناً ، ومن المؤسف أنه لا يذكر في جانب ذلك : دفاع أهل الحديث عن حقيقة الاسلام ، وحياطتهم له بقلوبهم وأفكارهم وأقوالهم وجهودهم ودمائهم .. ويغفل ابن سند ، بأسلوبه المتحيز الظالم ، الجانب الأهم من فكرة السلفيين أو أهل الحديث ، وهو الجدير بالإعجاب والتقدير : جانب التمسك بصفاء الإسلام ، وبفضائل الإسلام والابتعاد عما نهى عنه الإسلام وأنكره ، ومكافحة البدع والأباطيل التي لحقت بالإسلام في العصور المتأخرة ، فعصفت به أو كادت ..

ومهما يكن الأمر ، فقد أحسن ابن سند بتنبيهه على أن الفكرة السلفية بقيت متصلة مستمرة خلال العصور ، حتى صار مشعلها الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الوهابيون .. حنابلة . وليسوا مذهباً خامساً

كان أهل نجد ، حين أظهر فيهم الشيخ دعوته الاصلاحية ، حنابلة ، ولكنهم كانوا ، في كثرتهم ، حنابلة ، بالاسم فقط ..

ولما قبل أهل نجد زعامة الشيخ وأفكاره سماهم خصومهم : « الوهابيين » ، ليوهموا الناس أنهم خرجوا من « حنبليتهم » ، وأصبحوا فرقة جديدة أو مذهباً خامساً ..

والحقيقة هي أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يخرج أهل نجد من الحنبلية أو السلفية ، وانما أعادهم اليها بعد أن خرجوا منها وابتعدوا ، في كثرتهم ، عن الاسلام نفسه ..

كانوا يظنون لجهلهم ان الاسلام والحنبلية ما كانوا عليه ، فلا غرابة في أن يعد بعضهم ما جاء به الشيخ مذهباً جديداً ، مع أنهم كانوا غارقين في بحر البدع والشركيات التي ينكرها المذهب الحنبلي الصحيح ، الذي أعادهم الشيخ اليه .

قال الشيخ ، في رسالة الى ابن سحيم :

« .. إنا لما أنكرنا عبادة غير الله، بالغتم في عداوة هذا الأمر وإنكاره، وزعمتم انه « مذهب خامس » ، وانه باطل .

أفاذا قام من يبين للناس التوحيد،قلتم انه مغير الدين،وآت بمذهب خامس؟..»

الشيخ محمد بن عبد الوهاب
حنبلي متبع ، وليس صاحب مذهب ..

قال الشيخ ، في رسالة الى علماء مكة :

« وأنا أخبركم بما نحن عليه ، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب: على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام .

فنحن ، ولله الحمد ، متبعون لا مبتدعون ، على مذهب الإمام أحمد . »

الشيخ لا يدعو الى فقيه او صوفي
ودعوته الى الله ورسوله

وقال الشيخ ، في رسالته الى السويدي :

« .. عقيدتي وديني الذي أدين الله به هو: مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم ، الى يوم القيامة .

.. ولست أدعو الى مذهب صوفي .. أو فقيه .. أو متكلم .. أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم ، مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم ، بل أدعو الى الله وحده لا شريك له ، وأدعو الى سنة رسول الله (ص) . التي أوصى بها أول أمته وآخرهم . »

ولكن الشيخ لا يقلد ..

الشيخ حنبلي ، ولكنه متبع ، غير مقلد ، فهو – كما يقول ابن غنام – وان كان : « التزم بمذهب ، فلا يقدمه على النص القاطع ولا يتعصب .. ولكنه يختار من الأقوال ما هو أصوب ، ومن الحكم ما هو أوفق بالشريعة وأنسب . »

وليس من شروط الحنبلي أن يكون مقلداً لمؤسس المذهب في كل شيء ، بل ان الإمام ابن حنبل نفسه نهى عن التقليد ، وشدّد في ذلك ، فقال :

« لا تقلدني ، ولا تقلد مالكاً ، ولا الشافعي ، ولا الثوري ، وخذ من حيث أخذوا .. » .

وهكذا كان شأن أصحاب المذاهب السنية الأخرى ، كلهم نهى عن التقليد .

قال مالك : « انما أنا بشر ، أصيب وأخطيء ، فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة . »

وقال الشافعي : اذا صح الحديث ، فاضربوا بقولي الحائط .

وقال أبو حنيفة : هذا رأيي ، فمن جاء برأي خير منه قبلناه .

والحق ان المقلد كمن يضع عصابة على عينيه فيرتد أعمى ، لا يعرف إلا ما يقوله

صاحب مذهبه ولا يطيع غيره ، وقد ثبت - كما يقول ابن تيمية - « ان الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله ، ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه ، في كل ما يأمر به وينهى عنه ، إلا رسول الله (ص) . » .

لذلك قال الشيخ ، في إحدى رسائله ، مخاطباً مناظريه من كل مذهب :

« أشهد الله وملائكته وجميع خلقه ، ان أتانا منكم كلمة من الحق ، لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها من أقوال أئمتي ، حاشا رسول الله (ص) . فانه لا يقول إلا الحق . »

وقال الشيخ أيضاً :

« لا اختلاف بيني وبينكم ، أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم .

وانما الشأن اذا اختلفوا :

هل يجب علي أن أقبل الحق ممن جاء به ، وأرد المسألة الى الله ورسوله، مقتدياً بأهل العلم ؟

أم أنتحل بعضهم ، من غير حجة ، وأزعم ان الصواب في قوله ؟

فأنتم على هذا الثاني ..

وأنا على الأول ، أدعو الله ، وأناظر عليه . »

فتح باب الاجتهاد

وبذلك ثار محمد بن عبد الوهاب على مظاهر الجمود والتقليد الأعمى والتعصب المطلق للمذهب ، التي كانت الطابع الواضح لكثير من المسلمين في العهد العثماني ، زمن الشيخ وبعده، بل كان بهذا العمل أول من فتح الأبواب بين المذاهب الأربعة، بعد أن أغلقها المقلدون الجامدون على أنفسهم،وأول من ذكر بأن الاجتهاد واجب على كل مسلم ما استطاع ..

وكان أول من حذر في هذه العصور المتأخرة من « فتنة عمّت فأعمت ، ورمت القلوب فأصمت» ، وهي ترك أحاديث الرسول واتباع أقوال بعض العلماء المتبوعين، وان كانت مخالفة للحديث .

وقد أورد بن اغنام كلاماً كثيراً للشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في ضرورة التمسك بالكتاب والسنة ، وعدم التقيد بما يقوله أي من الناس مها يكن جليلا ، لأن التقليد انحراف خطير ، وروى عن الامام أحمد قوله : « من قلة فقه الرجل أن يكون يقلد في دينه الرجال » .

ثم قال :

.. قد بيّن الشيخ ، رحمه الله ، في بعض رسائله التقليد الممنوع ، والمأذون فيه ، والمباح . فقال :

.. ان الله سبحانه فرض علينا فرضين :

الأول – اتباع رسول الله (ص) . وترك ما خالفه في كل شيء .

الثاني – فرض علينا في كل مسألة تنازعنا فيها أن نردها الى الله والرسول .

قال تعالى : « فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول » .

وخاطب بها جميع المؤمنين ، المجتهد وغيره .

ولكن نقول : عليك تقوى الله ما استطعت ، وذلك أن تطلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ، على قدر فهمك ، فما عرفت من ذلك فاعمل به ، وما لم تعرفه واحتجت فيه الى تقليد أهل العلم قلدتهم ، وما أجمعوا عليه فهو الحق ، وما تنازعوا عليه فرده الى الله والرسول .

وأما أخذ الانسان ما اشتهت نفسه ووجد عليه آباءه ، وترك ما خالفه من كلام أهل العلم ، وغفلته عن كلام الله ورسوله ، واستهزاؤه بمن طلب ذلك ، فهذا هو الضلال ..

.. قال النبي (ص) . : « من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين » .

والتفقه في الدين ، معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها السمعية .

لكن من الناس من قد يعجز عن معرفة الأدلة التفصيلية ، في جميع أموره ، فيسقط عنه معرفته ويلزمه ما يقدر عليه .

وأما القادر على الاستدلال ، فقيل : يحرم عليه التقليد مطلقا ..

وقيل : يجوز مطلقا ..

وقيل : يجوز عند الحاجة ، كما اذا ضاق الوقت عند الاستدلال - وهذا القول أعدل الأقوال .

والاجتهاد ليس هو أمرا واحدا ، فيقبل التجزيء والانقسام ، بل قد يكون الرجل مجتهدا في فن أو باب أو مسألة دون فن أو باب أو مسألة ..

فمن نظر في مسألة تنازع فيها العلماء ، ورأى مع أحد القولين نصوصاً لا يعلم لها معارضا :

فاما أن يتبع القول الذي ترجح في نظره بالنصوص الدالة عليه .. فهذا هو الذي يصلح .

واما ان يتبع قول القائل الآخر ، بمجرد كونه الامام الذي اشتغل على مذهبه .. ومثل هذا ليس بحجة شرعية ، بل مجرد عادة .. لاشتغاله على مذهب آخر .

قد يقال : ان نظر هذا قاصر ، وليس اجتهاده تاماً في هذه المسألة ، لضعف آلة الاجتهاد في حقه .. وقد يكون للقول الآخر حجة راجحة على هذا النص لا يعلمها ..

فهذا يقال له : قال الله تعالى : « فاتقوا الله ما استطعتم » ، وقال النبي (ص): « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » ، والذي تستطيعه ، من العلم والفقه في هذه المسألة ، قد دلك على القول الراجح ، فعليك اتباعه .

ثم ان تبين لك ، فيما بعد ، أن للنص معارضاً راجحاً ، كان حكمك حكم المجتهد إذا تغير اجتهاده ، وانتقال الانسان من قول الى قول ، لأجل ما تبين له من الحق ، هو محمود فيه .

أما ترك القول الذي توضحت حجته ، لمجرد عادة ، أو اتباع هوى ، فهو مذموم . »

في بحبوحة المذاهب الاربعة

والخلاصة : ان الشيخ ، ومن تابعه ، هم من أهل السنة والجماعة : في الأصول ، وهم على مذهب ابن حنبل : في الفروع ، ولكنهم غير مقلدين له تقليداً أعمى ،

« فاذا صح لهم نص جلي ، من كتاب أو سنة ، غير منسوخ ، ولا مخصص ، ولا معارض بنص أقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الأربعة ، أخذوا به وتركوا المذهب ، كارث الجدة والاخوة ، فانهم يقدمون الجد بالارث ، وان خالف ذلك المذهب . »

وليس صحيحاً أنهم يلتزمون أقوال ابن تيمية أو ابن القيم أو غيرهما التزاماً مطلقاً ، قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب :

« وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة ، وكتبهم عندنا من أعز الكتب ، إلا انا غير مقلدين لهم في كل مسألة ، فان كل أحد يؤخذ من قوله ويترك ، إلا نبينا محمداً (ص) .

ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل ، منها :

١ – طلاق الثلاث بلفظ واحد في مجلس . فإنا نقول به تبعاً للأئمة الأربعة .

٢ – ونرى الوقف صحيحاً .

٣ – والنذر جائزاً ، ويجب الوفاء به في غير معصية .

وما يزال موقف الوهابيين – ولا أتحرج من استعمال هذه الكلمة ، بعد ان توضحت واستبانت حقيقتها– في هذه الأيام،كما أراده الإمام محمد بن عبد الوهاب: التمسك بكتاب الله وسنته ، وقبول الحق من أي مذهب من المذاهب الأربعة ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ، ما نقلناه ، بين يدي هذا الباب السادس ، من خطب المغفور له الملك عبد العزيز .

صفة الدعوة الوهابية

ما هي صفة الحركة الوهابية ؟

لقد تساءل غير واحد من المؤلفين هذا السؤال ، وكانت الأجوبة مختلفة ..

فبعضهم يرى أنها حركة دينية خالصة ، تريد الرجوع بالإسلام الى صفائه الأول، وأنها لذلك كافحت الشرك في كل ألوانه وأنكرت البدع التي أحدثت بعد النبي (ص) .

وبعضهم يرى أنها حركة سياسية ، غايتها فصل نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية ، وإقامة حكومة عربية مستقلة ، وأن الدين لم يكن إلا وسيلة لتحقيق هذا الغرض .

وآخرون يرونها مزيجاً من الدين والقومية ، لأنها كافحت في الميدانين لتحقيق غايات دينية وقومية ، وألفت حكومة ، وأوجدت نظاماً مبنياً على الإسلام ، ضمن الإطار السلفي .

ويقول المستشرق الفرنسي « هنري لاوست » :

إن روح الحركة الوهابية ومعناها لم يتحددا في وضوح كامل .

يقال حيناً إن الوهابية حركة دينية غايتها إعادة الإسلام إلى صفائه الأول.

وتعرف حيناً آخر بأنها حركة تطهير ، يغلب عليها التشدد ، وترفض ، كالبروتستانتية، عقيدة تقديس الأولياء ، وتكافحها كفاحاً لا هوادة فيه .

وكل هذا إنما هو محاولة لتعريف الوهابية ببعض صفاتها الثانوية المتفرعة عنها ، كما رآها أعداؤها ، أو كما أظهرها الغلاة من أتباعها ..

ولا سبيل إلى فهم الحركة الوهابية وتعريفها تعريفاً صحيحاً ، إلا بالرجوع الى كتاب « السياسة الشرعية » ، لابن تيمية ، ومتى فعلنا ذلك استطعنا أن نعرف الوهابية بأنها :

حركة إصلاح وتجديد ، سياسية ودينيـــة ، ترمي إلى إنشاء دولة إسلامية على الأسس التي أوردها ابن تيمية ، في كتاب « السياسية الشرعية » .

وحسبنا أن نقرأ المجموعات التي نشرتهـــا الحكومة العربية السعودية باسم : « مجموعة الرسائل والمسائل النجدية » ، حتى ندرك تمامـــاً أن الأفكار الوهابية مستمدة من « السياسة الشرعية» و «الحسبة » لابن تيمية» و «الطرق الحكمية» ، لابن القيم الجوزية .

رأينـــا

وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عودة الى الاسلام في أول أمره

ومطلع فجره ، ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم .

ذلك أن من دعا الى الاسلام الأول ، فإنما يدعو الى الاسلام كما كان يرى في في المدينة ، في عهد الرسول (ص) . ثم في عهود الخلفاء الراشدين .

كان المسلمون يومئذ يقرأون القرآن ، لا دلائل الخيرات ونحوها ..

وكانوا يروون الأحاديث ، لا قصص الطواغيت والخرافات ..

وكانوا يقولون : « لا إله إلا الله » ، بقلوبهم ، لا على أطراف ألسنتهم ، وكانوا يفهمون معناها ويعملون بمقتضاها ، فما كانوا يعبدون إلا الله وحده .. لا يشركون معه الصالحين ولا الشياطين ، وما كانوا يقيمون المباني والقباب على أضرحة الأولياء ، ليدعوا أصحابها وينذروا لهم ويستشفعوا بهم ، كأنهم ، وهم رمم بالية ، قادرون على جلب الخير ودفع الضر !

كان المسلمون يصلون ويزكون ويحجون ويصومون ، وكانوا يجاهدون ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ..

وكان الأئمة في بلاد الاسلام يسوسون الناس بالشرع ويأمرونهم بأوامر الشرع وينهونهم عن نواهي الشرع .

ثم غابت هذه الصورة الكريمة للاسلام الأول ، وحلت محلها صورة شوهاء تعاون على صنعها : الجهل والفساد ، فعاد الناس الى ما يشبه « الجاهلية » ، التي سبقت الاسلام ..

وحركة محمد بن عبد الوهاب هي حركة تجديد وتطهير : تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الاسلام وأوامره ، وتطهير للاسلام مما أدخلوه عليه من الشركيات والبدع !

ولم تكن دعوة محمد بن عبد الوهاب دعوة « فيلسوف » معتزل في غرفته ، ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح ، يكافح دون عقيدته ، ويعمل لها بلسانه ويده ، وبكل قلبه ، وبكل عقله ، وبكل جهده .

ان دعوة محمد بن عبد الوهاب ليست « نظرية » أو كتاباً ألفه ليقرأه الناس ، ولكنها منهاج رسمه ، وقام وراءه يدعو الى العمل به ، بالموعظة أولاً ، ثم بالقوة ..

قوة دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده .

فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً ، بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون اليوم، لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه ، لا يُحمل الناس على اتباعه بالقوة ، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين القانون ، ويقولون ان الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم ، ولكنها لا تلزمهم بالشرع ، بل قد يخالف قانونها الشرع !..

ان الاسلام وحدة ، دين ودنيا ، ودعوة الشيخ ، لذلك ، دعوة جامعة ، للأمور الدينية والسياسية .

وخلاصة القول :

ان الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد ، وكافحت الشرك والبدع ،

واستأنفت الجهاد ، وأنشأت دولة اسلامية على اساس الشرع وحده .

ونحن ، بعد هذا ، نتفق مع القائلين بأن منهاج الحكومة الوهابية ، كان مستمدا ، في كثير من أموره ، من أفكار ابن تيمية في « السياسة الشرعية » وغيرها من كتبه ، ومن أفكار تلامذته ، وخصوصاً ابن القيم .

الوهابية في اللغة

يستنكر المؤرخ المعروف محمود شكري الألوسي ، تسمية أتباع الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب « بالوهابية » ، أو « الوهابيين » ، ويعدها نسبة غير صحيحة ، لأن « النسبة في الحقيقة انما هي إلى الشيخ محمد ، لأنه هو الذي دعا الناس إلى ترك ما كانوا عليه من البدع والأهواء ، ونَصَرَ السنة وأمر باتباعها ، وقد خالف أباه فيما كان عليه وجرت بينهما مناظرات ... »

وجارى الألوسي في هذا الإنكار الشيخ محمد حامد الفقي ، فقال في كتابه « أثر الدعوة الوهابية » : « الوهابية ، نسبة إلى الإمام المصلح شيخ الاسلام محمد ابن عبد الوهاب، مجدد القرن الثاني عشر ، وهي نسبة على غير القياس العربي ، فلقد كان الصحيح أن يقال : « المحمدية » إذ أن اسم صاحب هذه الدعوة والقائم

بها هو : « محمد » لا « عبد الوهاب » ... »

وعندنا أن هذه النسبة صحيحة في اللغة ، فالرجل قد يعرف – ويكنى – باسم أبيه أو ابنه ، « فالحنابلة » ، مثلاً ، منسوبون إلى « احمد بن محمد بن حنبل » ، ولم يقل أحد : كان يجب أن يسموا « الأحمديين » لأن احمد هو صاحب المذهب، لا جده « حنبل » !

والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى !

وأكبر الظن أن السبب في تركهم النسبة إلى « محمد » ، هو الخوف من الالتباس ، لأن كلمة « محمديين » تعم المسلمين كلهم ، على اختلاف مذاهبهم ، وقد أرادوا تسمية أتباع محمد بن عبد الوهاب باسم يختصون به دون غيرهم ، فنسبوهم إلى « ابن عبد الوهاب » ، فقالوا : وهابيين .

والمسألة ليست مسألة لغوية ، ولا مسألة مفاضلة بين النسبة إلى محمد وبين النسبة إلى أبيه ، وإنما هي مسألة « سياسية » – إن شئت – ، وصورتها : هل يجب أن يطلق على دعوة الشيخ محمد اسم خاص أم لا ؟

كان جماعة الشيخ يعرفون أنفسهم باسم « المسلمين » أو « الموحدين » ، ولكن نفراً من مسلمي الاقطار الإسلامية الأخرى، الذين تفرقوا شيعاً ومذاهب وطرقاً، وتسموا بأسماء متنوعة،ظنوا أن الشيخ محمد خرج بحركته عن المذاهب المعروفة، وأنشأ مذهباً جديداً ، فسموه : « المذهب الوهابي » ، أو « الوهابية » ..

يقول الفقي :

« لننظر كيف ، ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها ، علنا نوقف القارىء على بعض السر الذي دعا الى استعماله ، ثم الى شيوعه في الأقطار العربية وغيرها ، إلا نجداً وما يتصل بها ، فان من أعجب العجب أنك لا تجد لهذا اللقب أثراً فيها ، ولا عند النجديين النازحين عنها الى غيرها للتجارة أو الإقامة والاستيطان ، لا بل والأعجب من هذا أنهم يستنكرون ذلك ممن يخاطبهم به ، أو ينسبهم إليه ، وإنهم جميعاً من ملكهم وأمرائهم ومشايخهم – الذين أكثرهم من آل الشيخ محمد – وتجارهم وعامتهم يطلقون على أنفسهم ، من حيث الوطن والقطر :

« نجديين » ، ومن حيث المذهب والعقيدة : « حنابلة » .

وإنهم لحنابلة متعصبون لمذهب الإمام أحمد في فروعه ككل أتباع المذاهب الأخرى ، فهم لا يدّعون – لا بالقول ولا بالكتابة – أن الشيخ ابن عبد الوهاب أتى بمذهب جديد ولا اخترع علماً غير ما كان عند السلف الصالح ، وإنما كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ، ذلاً وخضوعاً ودعاءً ونذراً ، وحلفاً وتوكلاً ، وطاعةً لشرائعه ، وفي توحيد الأسماء والصفات ، فيؤمن بآياتها كما وردت ، لا يحرف ولا يؤول ، ولا يشبه ولا يمثل ، على ما ورد في لفظ القرآن العربي المبين ، وما جاء عن الرسول وما كان عليه الصحابة وتابعوهم والائمة المهتدون من السلف والخلف ، وأن تحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لا يتم على وجهه الصحيح ، إلا بهذا ! »

أين نشأت التسمية ؟

ويمضي الفقي بعد ذلك في التساؤل عن البلاد التي نشأ فيها لقب « الوهابية » وشاع ، لأنه لم يخرج بزعمه من الاوساط النجدية ، فيقول إنه نشأ في الاقطار والاوساط التي كانت تبذل أقصى جهدها لحرب هذه الدعوة حين كان عبد العزيز وسعود يبسطان نفوذهما على جزيرة العرب !

ويقول المؤرخ الإفرنسي « مانجان » إن إطلاق اسم « الوهابيين » على أنصار محمد بن عبد الوهاب ، قد بدأ في السنوات الاولى من إمارة عبد العزيز .

ولكننا ما نزال في شك من صحة هذه الاقوال ، فالكتاب الذي ألفه أخو الشيخ : « سليمان بن عبد الوهاب » ، قبل عام ١١٦٨ هـ . كان عنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » وهذا الكتاب ظهر في ولاية محمد بن سعود ، فإن كان عنوانه صحيحاً ، وأغلب الظن أنه صحيح ، فمعنى ذلك أن كلمة « وهابية » ظهرت في وسط نجدي ، وإن يكن وسط خصوم الدعوة .

الفصل الثّاني

عقيدة محمّد بن عبد الوهّاب [٧]

« سأل أهل القصيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن عقيدته ، فأجابهم بهذا الكتاب » :

بسم الله الرحمن الرحيم

عقيدة أهل السنة والجماعة :

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية ، أهل السنة والجماعة ، من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره .

صفات الله :

ومن الايمان بالله، الايمان بما وصف به نفسه في كتابه ، على لسان رسوله(ص). من غير تحريف ولا تعطيل ، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير ، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه ، ولا أحرّف الكلم عن

مواضعه ، ولا ألحد في أسمائه وآياته ، ولا أكيّف ، ولا أمثّل صفاته تعالى بصفات خلقه ، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفوء له ، ولا ندّ له ، ولا يقاس بخلقه ، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره وأصدق قيلًا وأحسن حديثاً فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل ، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل ، فقال : « سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين » .

أهل السنة وسط :

والفرقة الناجية وسط ، في باب أفعاله تعالى بين « القدرية » و « الجبرية » ، وهم وسط في باب وعيد الله بين « المرجئة » و « الوعيدية » ، وهم وسط في باب الايمان والدين بين « الحرورية » و « المعتزلة » ، وبين « المرجئة » و « الجهمية » ، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله بين « الروافض » و « الخوارج » .

القرآن :

وأعتقد أن القرآن كلام الله ، منزل ، غير مخلوق ، منه بدأ واليه يعود ، وإنه تكلم به حقيقة ، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده : نبينا محمد (ص) .

القدر :

وأؤمن بأن الله تعالى فعّال لما يريد ، ولا يكون شيء إلا بإرادته ، ولا يخرج شيء عن مشيئته ، وليس شيء في العالم يخرج عن قدرته ولا يصدر إلا عن تدبيره ولا محيد لأحد عن القدر المحدود ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور .

البعث والحساب :

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي (ص) . مما يكون بعد الموت ، فأؤمن

بفتنة القبر ونعيمه ، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد ، فيقوم الناس لرب العالمين حفاة عراة عزلاً ، تدنو منهم الشمس ، وتنصب الموازين وتوزن بها أعمال العباد . « فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون » . وتنشر الدواوين ، فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله .

حوض النبي وشفاعته :

وأؤمن بحوض نبينا محمد (ص) . بعرصة القيامة ، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل آنيته عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً .

وأؤمن بشفاعة النبي (ص). وأنه أول شافع وأول مشفع ، ولا ينكر شفاعة النبي(ص) . إلا أهل البدع والضلال،ولكنها لا تكون إلا من بعد الاذن والرضى، كما قال تعالى : « ولا يشفعون إلا لمن ارتضى » وقال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه » وقال تعالى : « وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى » وهو لا يرضى إلا التوحيد ، ولا يأذن إلا لأهله ، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب ، كما قال تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » .

الصراط والجنة والنار ورؤية الله :

وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم ، يمرّ به الناس على قدر أعمالهم .

وأؤمن بأن الجنة والنار مخلوقتان ، وأنها اليوم موجودتان ، وأنهما لا يفنيان .

وأؤمن أن المؤمنين يرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة ، كما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

النبي (ص) . والصحابة :

وأؤمن بأن نبينا محمداً (ص) . خاتم النبيين والمرسلين ولا يصح إيمان عبد حتى

يؤمن برسالته ، ويشهد بنبوته .

وأن أفضل أمته ، أبو بكر الصديق ، ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين ، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة ، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم .

وأتولى أصحاب رسول الله وأذكر محاسنهم وأترضى عنهم وأستغفر لهم وأكف عن مساويهم وأسكت عما شجر بينهم ، وأعتقد فضلهم ، عملاً بقوله تعالى :

« والذين جاءوا من بعدهم يقولون : ربنا أغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا انك رؤوف رحيم » .

كرامة الأولياء :

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء . وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات ، إلا أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً ، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله .

لا اكفر مسلماً بذنب :

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار ، إلا من شهد له رسول الله (ص) . ولكني أرجو للمحسن وأخاف على المسيء ، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ، ولا أخرجه من دائرة الاسلام .

استمرار الجهاد :

وأرى الجهاد ماضياً مع كل امام ، براً كان أو فاجراً ، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة ، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً (ص) . إلى أن يقاتل آخر هذه الامة الدجال ، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل .

طاعة الائمة :

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، برهم وفاجرهم ، مـــا لم يأمروا بمعصية الله ، ومن ولي الخلافة واجتمع عليه النـاس ورضوا به وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة ، وجبت طاعته وحرم الخروج عليه .

أهل البدع :

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا ، وأحكم عليهم بالظـــاهر وأكل سرائرهم إلى الله ، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة .

أنواع الايمان وشعبه :

وأعتقد أن الايمان قول باللسان ، وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، وهو بضع وسبعون شعبة ، أعلاها : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأدناها : اماطة الاذى عن الطريق .

الامر بالمعروف :

وأرى وجوب الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر على مـــا توجبه الشريعة المحمدية الظاهرة .

فهذه عقيدة وجيزة حررتها وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي ، والله على ما نقول وكيل . » .

تذييـل

تلك عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، كما لخصها في رسالته الى أهل القصيم ، وقد نستطيـع أن نضيف اليها شيئاً من كلام الشيخ ، يزيد بعض فقراتها وضوحاً :

يقرّ الشيخ آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ويكل « علمها الى الله » مع اعتقاد حقائقهـا ، فان (مالكا) ، وهو من أجل علماء السلف ، لمـا سئل عن « الاستواء » ، في قوله تعالى : « الرحمن على العرش استوى » ، قال : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

أمـا الصفات التي اخترعها الفلاسفة والمتكلمون ، كالجوهر والعرض والجسم والجهة ، ونحو ذلك ، فيرى الشيخ عدم التعرض لها ، لا بنفي ولا باثبات »[1] .

اطلع الشيخ على رسالة « المويس » التي خطأ فيها أهل الوشم ، لانكارهم على من يصف الله بأنه ليس جوهراً ولا عرضاً ولا جسماً ، فقال رحمه الله :

إن عقيدة أهل السنة هي السكوت ، من أثبت بدّعوه ، ومن نفى بدّعوه .

فالذين يقولون ليس بجسم ولا جوهر ولا عرض : هم الجهمية والمعتزلة .

والذين يثبتون ذلك هم : « هشام » وأصحابه .

والسلف بريئون من الجميع ! ..

وقال الشيخ أيضاً :

« مذهب الإمام أحمد وغيره من السلف ، أنهم لا يتكلمون في هـذا النوع إلا بما تكلم به الله ورسوله ، فما أثبته الله لنفسه أو أثبته رسوله ، أثبتوه ، مثل الفوقية والاستواء والكلام والمجيء وغير ذلك ، وما نفاه الله عن نفسه ونفاه عنه رسوله ، نفوه ، مثل : الند ، والمثل ، والسمّي ، وغير ذلك .

وأما ما لا يوجد عن الله ورسوله إثباته ونفيه ، مثل : الجوهر والعرض والجسم والجهة وغير ذلك ، فلا يثبتونه ولا ينفونه .

.. ومن كلام ابن عقيل : « أنا أقطع أن أبا بكر وعمر ماتا ، مـا عرفا الجوهر والعرض .. »

ورد الشيخ على قول المويس إن لله صفات سبعاً فقط – هي : السمع والبصر

---

١ – أنظر رسائل الشيخ عبد الله بن محمد عبد الوهاب .

والحياة والقدرة والإرادة والعلم والكلام–وان المسلمين يثبتون لله هذه الصفات من غير « كيف » ولا « أين » ، فقال:

« هذا مذهب طائفة من المبتدعة ، يثبتون الصفات السبع ، وينفون ما عداها ، ولو كان في كتاب الله ، ويؤولونه ، وأما أهل السنة فكل ما جاء عن الله ورسوله أثبتوه ، وذلك صفات كثيرة ..

أما أنكار الأين ، فهو من عقائد أهل الباطل ، وأهل السنة يثبتونه ، اتباعاً لرسول الله (ص) ، فقد جاء في الصحيح أنه قال للجارية : أين الله ؟ »

فأجابت : في السماء [1] !

القرآن :

كان الشيخ يبرأ من الجهمية ، القائلين بخلق القرآن ، ومن الكلابية ، القائلين بأن كلام الله هو « المعنى القائم بنفس الباري ، وان ما نزل به جبريل: « حكاية » أو « عبارة » عن المعنى نفسه .

وكان الشيخ ، كأهل السنة كلهم ، يرفض تأويل كلام الله ، الذي ورد على ألسنة بعض الفلاسفة والمتكلمين ، قال الشيخ :

« ان أئمة المتكلمين ، لما ردوا على الفلاسفة في تأويلهم في آيات الأمر والنهي ، مثل قولهم :

المراد بالصيام : كتمان أسرارنا

والمراد بالحج : زيارة مشايخنا

والمراد بجبريل : العقل الفعال

وغير ذلك من إفكهم ...

لما رد المتكلمون بأن هذا التفسير خلاف المعروف بالضرورة من دين الاسلام ،

---

١ – القول بالجهة ، لا يعني التجسيم .

فقال لهم الفلاسفة : أنتم جحدتم علو الله في خلقه واستواءه على عرشه ، مع أنه مذكور في الكتب على ألسنة الرسل ، وقد أجمع عليه المسلمون كلهم ، وغيرهم من أهل الملل ، فكيف يكون تأويلنا تحريفاً وتأويلكم صحيحاً ؟

فلم يقدر أحد من المتكلمين أن يجيب على هذا الايراد .

والمراد : أن مذهبهم ، مع كونه فاسداً في نفسه ومخالفاً للمعقول ، هو أيضاً : مخالف لدين الإسلام . »

أسباب الاختلاف
بين الشيخ وبين العلماء في زمانه

أوردنا قبل هذا الفصل نص الرسالة التي لخص فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته ، وكل من قرأ هذه الرسالة وتأملها رأى أنها عقيدة أهل السنة والجماعة الصافية ، لا ينكرون منها جملة واحدة .

وفي ظل الإسلام الحق ، في « إطار » عقيدة أهل السنة والجماعة ، قام الشيخ بدعوته إلى « التوحيد » وهو أعظم شيء دعا اليه الإسلام ، وبالنهي عن «الشرك» ، وهو أعظم شيء نهى عنه الإسلام ، فما الذي أثار على الشيخ ، في زمانه وبعد زمانه ، جماعة من أهل السنة أنفسهم ، سواء من الحنابلة إخوان الشيخ في المذهب وفي البلد ، داخل نجد ، أم من رجال المذاهب الأخرى ، خارج نجد ؟

قد يقال ، في الجواب على ذلك :

إن العامة ، من أهل نجد ، خالفوه ، لجهلهم بحقائق الدين وفسادهم ، إذ صور لهم اعتيادهم لما يمارسونه من الأمور الباطلة أنها هي الإسلام ، فتنكروا لمن يدعوهم إلى الخروج منها ، وكذلك تفعل العامة عند ظهور كل مصلح ، ثم ينقادون اليه ، طوعاً أو كرهاً ، ويتشددون في الدفاع عن أفكاره مثل تشددهم في رفضها أول مرة وأكثر ! ...

وأما العلماء ، فبعضهم وإن تلبس بلباس العلماء لا يقلّ جهلًا عن العامة ،

وبعضهم ما دعاهم إلى مقاومته إلا الحسد والبغي والحرص على المنافع المـادية التي كانت تأتيهم من أثمان الحجب والنذور ، وأجور المشاهد والقبور ، ونحو ذلك ، فخافوا ان اتبع الناس الشيخ ، في ما يقرره لهم من مخالفة هذه الأمور للدين ، أن تنقطع عنهم مواردها المالية ، وتتضاءل قيمتهم هم أنفسهم في عيون الناس فكانوا يشجعون الضلال ، وبقيت طائفة متمسكة بالحق ولكنها مـا كانت تنكر إلا بقلبها ، وتلتمس العافية في السكوت .

ذلك جواب صحيح في جملته ، ولكنه لا يحيط بالمسألة من كل جوانبها ، وإنما يكتفي بتلخيص «البواعث» النفسية التي أدّت إلى مقاومة الشيخ في دعوته الجريئة، والمتشددة أحياناً .

والجواب الأمثل ، والأكمل ، يحتم علينا تلخيص صفحات دعوات الشيخ كلها، لنتبين نقط « الإحتكاك » ، ومواضع الإختلاف بين الشيخ وبين الآخـرين ، سواء في الأمور الكبيرة أم في الأمور الصغيرة .

وهذا ما سنفعله في الصفحات الآتية ...

التوحيد [٨]

« .. أهم مسألة شغلت ذهنــه في دروسه ورحلاته : مسألة التوحيد ، التي هي عماد الاسلام، والتي تبلورت في : « لا اله الا الله » ، والتي دعـا اليها محمد (ص) . أصدق دعوة وأحرها ، فلا اصنام ولا اوثان ، ولا عبادة آباء ولا اجداد ، ولا احبار ولا انداد ، ولا نحو ذلك .. »

— احمد امين —

الدعوة الى التوحيد والنهي عن الشرك

أعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، منذ كان طالباً للعلم ثم مدرساً ، في البصرة، انكاره لما كان عليه أكثر الناس من الشرك والبدع والفساد ، ودعا الى التمسك بالتوحيد ، والاقتداء بما كان عليه السلف الصالح .

وضع « كتاب التوحيد »

ولكن دعوة الشيخ لم «تنشط ، وتقوى» الا بعد وفاة أبيه عام (١١٥٣ هـ)، وكان ظهور « كتاب التوحيد » شبه إعلان أو « افتتاح » رسمي للدعوة .

وضع الشيخ كتاب التوحيد ، أثناء مقامه في حريملاء ، بعد عودته من رحلته

الطويلة ، وما ندري إن كان فرغ من تأليفه قبل وفاة والده أو بعد ذلك ، ولكن الكتاب ، على كل حـال ، لم يشتهر وينتشر الا بعـد موت الشيخ عبد الوهاب ، لما نعرفه من مداراة الشيخ لأبيه ، وكان يومئذ في آخر عمره .

اسلوب كتاب التوحيد

كتاب التوحيد ، كتاب غير كبير ، جمع فيه الشيخ آيات وأحاديث في بيان التوحيد والترغيب فيه ، وبيان الشرك والتحذير منه ، ونبه على المسائل التي تتفرع عـن الآيات والأحاديث التي أوردها ، وذلك باختصار كثير ، فكان كتابه أشبه بما نسميه اليوم : « رؤوس أقلام » ، منه بالشرح المستفيض ؛ وقد يخطر ببال بعض الناس ، وهم يطالعون هـــذا الكتاب ، لأول مرة ، أن صاحبه لم يفعل أكثر من الجمع والتبويب، والتنبيه على بعض المسائل،وأنه لا يستحق بمثل هذا الكتاب ألقاب عالم فقيه ومؤلف، وأن يقول « ابن بشر » عن كتابه : « مـــا وضع المصنفون في فنه أحسن منه ، فانه أحسن فيه وأجاد ، وبلغ الغاية والمراد . » ..

ومثل هذا الكلام قيل من قبل في الإمام أحمد وغيره من أئمة الحديث،لأنهم كانوا يكثرون في كتبهم وأجوبتهم من الآيات والأحاديث ، فيخيـل الى قارئهم أنهم لا يجيبونه من عنـــد أنفسهم ولكنهم يحيلونه الى القرآن والحديث ، ولذلك وصفهم بعض الناس بأنهم : « محدثون » أو رواة، وليسوا فقهاء ، كأن الفقه في زعمهم هو الرأي .

والحقيقة هي أن ايراد الآيات والأحاديث ، على أسلوب مخصوص ، والتنبيـه ولو باختصار على بعض معانيها وأغراضها، واستخلاص فكرة معينة منها، والتوجيه اليها : كل أولئك يمثل جهداً علمياً لا يقل عن جهد المؤلفين الذين يعرضون آراءهم الشخصية .

بل نقول أكثر من ذلك ، فالعلم – أعني علم الدين – هو ، عند أهل الحديث، ما كانت مادته الأساسية : الآيات والأحاديث وأقوال الأئمـة المعتبرة ، وليست كتب الرأي عندهم شيئاً .

محتويات كتاب التوحيد

يبدأ الشيخ كتاب التوحيد ، بعد البسملة والحمدلة ، بقوله تعالى :

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)

ثم يتبعها بجملة من الآيات والأحاديث في الدعوة إلى عبادة الله ، واجتناب الطاغوت ، وفي معنى التوحيد وشهادة ان لا إله إلا الله ، وانها مكفرة للذنوب اذا قيلت باخلاص وبراءة من الشرك .

ثم يذكر طائفة من المسائل – أو ما نسميه في مصطلح اليوم : الملاحظات الهامة .

ثم ينتقل الى الكلام على أنواع كثيرة من الشرك والبدع والمفاسد ، كان أكثرها متفشياً في زمانه ، كلبس الخيط والحلقة لرفع البلاء ، والرقى والتمائم ، والتبرك بالشجر والحجر ونحوهما ، والذبح لغير الله ، والاستعانة بغير الله ، والاستعاذة بغير الله ، والاستغاثة بغير الله ، ودعوة غير الله ، والغلو في الصالحين ، وفي قبورهم ، والعبادة عند القبور .

ويتحدث الكتاب كذلك عن السحر والكهانة والتنجيم والحلف بغير الله وسب الريح ، وأمور مختلفة لا تبلغ بفاعلها الى الشرك ، ولكنها أشياء منكرة .

نظرية التوحيد

في اعتقادنا ان فكرة التوحيد لا تبرز لنا في شكلها النظري « المركز » – ان صح هذا التعبير – في كتاب التوحيد ، ولكنها انما تظهر ، في بيان قوي ، وتعاريف « علمية » ، ولا نقول « مفلسفة » ، في جملة من رسائل الشيخ ، سار فيها على غرار ابن تيمية ، وربما تجاوزه أحياناً في قوة « التركيز » .

تعريف التوحيد وتقسيمه

يعرف الشيخ ، في بعض رسائله ، التوحيد بأنه :

« إفراد الله بالعبادة »

ويقسم التوحيد الى ثلاثة أقسام :

لأول - توحيد الأسماء والصفات

وهو الإيمان بكل ما ورد في القرآن والأحاديث الصحيحة من صفات الله ، ووصفه بها على الحقيقة .

وهذا القسم لا اختلاف فيه بين جمهور المسلمين .

الثاني - توحيد الربوبية

وهو توحيد الله بأفعاله، مثل الخلق والرزق والاماتة والاحياء وانزال الغيث ، ونحو ذلك ..

وهذا القسم لا اختلاف فيه ، لا بين المسلمين وحدهم ، ولكن بين المسلمين وغيرهم من الملل الأخرى أيضاً ، وحتى دعاة الوثنية : فهم مقرون جميعاً لله بالتفرد بالخلق والاماتة والتدبير الخ ..

قال الشيخ : وهذا حق لا بد منه ، لكن لا يدخل الرجل في الاسلام .

الثالث - توحيد الألوهية

وهو توحيد الله بأفعال العباد ، التي تعهدهم بها وشرعها لهم .

قال الشيخ : « ان الذي يدخل الرجل في الاسلام هو توحيد الألوهية ، وهو أن لا يعبد إلا الله » .

وبكلمة أخرى : التوحيد المقصود ، بأكمل معانيه ، هو : افراد الله بالعبادة .

تعريف العبادة وأنواعها

يعرف لنا الشيخ العبادة ويذكر لنا كثيراً من أنواعها ، في بعض رسائله ، فيقول :

« .. العبادة : اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال ، الظاهرة والباطنة .

فان قيل : فما الجامع لعبادة الله وحده ؟

قلت : طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

فان قيل : فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله ؟

قلت : من أنواعها : الدعاء ، الاستعانة ، الاستغاثة ، ذبح القربان ، النذر ، الخوف ، الرجاء ، التوكل ، الإنابة ، المحبة ، الخشية ، الرغبة ، الرهبة ، التأله ، الركوع ، السجود ، الخشوع ، التذلل ، التعظيم الذي هو من خصائص الإلهية » .

ويضيف الشيخ إلى ذلك أن من صرف شيئاً من أنواع هذه العبادة لغير الله ، فقد وقع في الشرك .

قنبلة الديناميت

تلك طائفة من أقوال الشيخ في التوحيد ، والعبادة ، والشرك ، قد تبدو لغير الواقفين على أحوال نجد والبلاد الاسلامية في زمن الشيخ ، أقوالاً هادئة ، لا تثير « أعصاب » مسلم ...

ولكنها كانت في زمانها وبعد فترة من زمان الشيخ ، كأنها لغم هائل من متفجر «الديناميت» ، أو قنبلة ذرية ، وضعها الشيخ في أسس المعتقدات والعادات المنتشرة في تلك الأيام ، لتهدمها وتجعلها أثراً بعد عين ..

ذلك أن كثيراً من أهل نجد كان دينهم : هذا الذي يقول الشيخ إنه الكفر بكل دين ، وكانت عبادتهم : هذه التي يقول الشيخ إنها عبادة الأوثان لا عبادة الله ، ونحو هذا ..

ولو أن الشيخ اكتفى بوضع كتابه في التوحيد ، والاعتزال في داره ، لما كان للكتاب إلا أثر محدود ، ولكنه وقف وراءه ، يكافح عن عقيدته ، ويقررها للناس ، ويجمع حوله الأنصار ، ويكتب الرسائل في الرد على خصومه ومناظريه ، ثم انتقل من النظر الى العمل ، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، وقام بازالة

منكرات كثيرة ، ومنها قلعه أشجاراً كانوا ينذرون لها وتحطيمه المباني على قبور كانوا يتعبدونها، وأمره برجم امرأة زانية، بعد اعترافها أربع مرات بفعلتها، إلى غير ذلك مما لسنا بصدده الآن، وإنما سقنا هذه الامثلة للتدليل على أن كتاب الشيخ كان فاتحة المعركة لا خاتمتها ..

الجاهلية والوثنية

كان الشيخ ، ومن تابعه ، يرون أن الناس بسبب تفشي الشرك في المعتقدات والأخلاق قد عادوا الى مثل الجاهلية التي سبقت الاسلام ، فكانوا يحتاجون الى من يجدد لهم دينهم ، وكان الشيخ هو الذي يقوم بهذه الرسالة العظيمة .

بارك فريق من العلماء الشيخ قيامه قياماً عظيماً في تعليم الناس حقيقة الدين ومكافحة الشرك والمنكرات والزام الناس بالصلوات وغيرها من أوامر الدين ، ولكنهم كانوا يرون أنه تشدد في بعض المسائل ، مع جواز التسامح فيها .

انتقادات ابن سحيم

كان أكثر المشايخ ، عند ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ضده ، ولكن أحد رؤوس المقاومة كان : سليمان بن محمد بن سحيم ، مطوع الرياض ، فقد نشر رسالة كان لها دوي في نجد وخارج نجد ، ذكر فيها أموراً كثيرة نسبها الى الشيخ وأنكرها إنكاراً شديداً ، وها نحن نورد هنا أكثر ما جاء في هذه الرسالة ، كما أثبتها « ابن غنام » :

(أما بعد.. خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل ، مضل ضال من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة ..

فمن بدعه وضلالاته :

١ – أنه عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله ، الكائنين في الجبيلة – أي زيد بن الخطاب وأصحابه – وهدم قبورهم ، وبعثرها ، لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون أن يحفروا لهم فطووا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع ، والدافن لهم خالد وأصحاب رسول الله (ص) .

٢ – وعمد أيضاً إلى مسجد .. وهدمه ، وليس داعٍ شرعي إلى ذلك ، إلا اتباع الهوى ..

٣ – وأمر بحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها «عن محمد (ص) ..» : سيدنا ومولانا !

٤ – وأحرق أيضاً « روض الرياحين » وقال : هذا روض الشياطين !

٥ - وصح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول لهدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه وجعلت بدله ميزاباً من خشب .

- أما سمع قوله تعالى : « ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب »؟

٦ - .. وأنه يقول : الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء ! .. وتصديق ذلك أنه بعث إلي كتاباً يقول فيه : أقروا أنكم قبلي جهال ضلال !

٧ - ومن أعظمها : أنه من لم يوافقه في كل ما قال ، ويشهد أن ذلك حق ، يقطع بكفره .

ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً محضا ، أو مكاسا ، وبهذا أظهر أنه يدعو إلى توحيد نفسه لا إلى توحيد الله .

٨ - ومنها أنه بعث إلى بلداننا كتاباً مع بعض دعاته ، بخط يده ، وحلف فيه بالله أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب إلى أخذ العلم منهم في زعمه ، والا فليس له مشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا عرفه أهل قطره !..

فيا عجبا ، إذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ولا أهل قطره ، فمن أين علمه ، وممن أخذه ، هل أوحي إليه ، أو رآه مناماً ، أو أعلمه به الشيطان ؟

٩ - ومنها أنه يقطع بتكفير ابن الفارض ، وابن عربي .

١٠ - ومنها أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول، لأجل أنهم يأخذون النذور ، ومن لم يشهد بكفرهم فهو كافر عنده .

١١ - ومنها أنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة ، قال : اختلافهم نقمة .

١٢ - ومنها أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله (صلعم) وأصحابه أنهم وقفوا .

١٣ - ومنها أبطال الجعالة على الحج .

١٤ - ومنها أنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده .

١٥ - ومنها أنه قال : الصلاة على رسول الله (ص) . يوم الجمعة وليلتها : بدعة وضلالة تهوي بصاحبها إلى النار .

١٦ – ومنها أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً ، إذا قضوا بالحق بين الخصمين ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة ، إن ذلك رشوة .

– هذا القول بخلاف المنصوص عن جميع الأمة أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين لا أقضي بينكما إلا بجعل .

١٧ – ومنها أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها ويجعلها لله تعالى ، ويدخل مع ذلك دفع شر الجن .

ويقول : ذلك كفر ، واللحم حرام .

فالذي ذكره العلماء في ذلك أنه منهي عنه فقط .

*

فبينوا ، رحمكم الله ، ذلك للعوام المساكين ، الذين لبس عليهم ، وأبطل عليهم الاعتقاد الصحيح ، فقد افتتن بسببه ناس كثير من أهل قطرنا ... » .

رد الشيخ على هذه الرسالة

رد الشيخ على كثير مما جاء في هذه الرسالة ، بكتاب أرسله إلى عبد الله بن سحيم تناول فيه (٢٤) قضية نسبها إليه خصومه ، ومما قاله :

« فالمسائل التي شنع بها ، منها ما هو من البهتان الظاهر ، وهي :

١ – أني مبطل كتب المذاهب .

٢ – و .. أني أقول إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء .

٣ – وأني أدّعي الاجتهاد .

٤ – وأني خارج عن التقليد .

٥ – وأني أقول إن اختلاف العلماء نقمة .

٦ – وأني أكفر من توسل بالصالحين .

٧ – وأني أكفر البوصيري لقوله : يا أكرم الخلق .
٨ – وأني أقول : لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها .
٩ – ولو قدرت على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزاباً من خشب !
١٠ – وأني أنكر زيارة قبر النبي (ص) .
١١ – وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم .
١٢ – وأني أكفر من يحلف بغير الله .

فهذه اثنتا عشرة مسألة جوابي فيها أن أقول : « سبحانك هذا بهتان عظيم » !

رد ابن غنام

وتولى « ابن غنام » بعد ذلك أمر الرد على مزاعم ابن سحيم التي لم يعرض لها الشيخ محمد في رسالته ، وهذه مقتبسات من رده ، في شيء قليل من التصرف :

١ – زعم ابن سحيم في أول الرسالة أنه (أي الشيخ) عمد إلى شهداء أصحاب رسول الله (ص) الكائنين في الجبيلة ، زيد بن الخطاب وأصحابه ، وهدم قبورهم وبعثرها الخ ..

فالذي جرى من الشيخ وأتباعه أنه هدم « البناء » الذي على القبور والمسجد المجعول في المقبرة على القبر الذي يزعمون إنه قبر زيد بن الخطاب – وذلك كذب ظاهر فإن زيد ومن معه من الشهداء لا يعرف أين موضعه ، بل المعروف أن الشهداء .. قتلوا .. في هذا الوادي ولا يعرف أين موضع قبورهم من قبور غيرهم .. وإنما كذب بعض الشياطين وقال للناس : هذا قبر زيد !

وقد افتتن به الناس وصاروا يأتون إليه من جميع البلاد .. ويسألونه قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فلأجل ذلك هدم الشيخ ذلك البناء .. اتباعاً لما أمر الله به ورسوله من تسوية القبور ...

وقوله : « لأجل أنهم في حجارة ولا يقدرون ان يحفروا لهم » الخ .. فكل هذا كذب وزور وتشنيع على الشيخ .. وكلامه هذا تكذبه المشاهدة ، فان الموضع الذي فيه تلك القبور موضع سهل لين الحفر ..

٢ – وأمـــا قوله إن الشيخ يقطع بفساد الوقف .. فقد كذب وافترى ، فالشيخ ما أبطل إلا ما كان مخالفاً لما ثبت من الأحاديث .. وذلك أن كثيراً من الجهال والعامة إذا أراد أن يغير فرائض الله ويحرم بعض أولاده من الأناث مـا قسم الله له أو يحرم أولاده الإناث ويخصه بالذكور وأولادهم ، وقف ماله وأشهد عليه ... « وأورد ابن غنام نص رسالة للشيخ أجاب فيها عن الشبهة التي احتج بها من أجاز وقف الجنف والاثم » .

٣ – وأما قوله إن الشيخ أحرق « دلائل الخيرات » لأجل قوله : اللهم صل على سيدنا ومولانا . فهذا من الكذب والزور . وقد أجاب الشيخ عن هـــذا في بعض رسائله بقوله :

« وأما دلائل الخيرات ، فلذلك سبب ، وذلك أني أشرت على من قبل نصيحتي من إخواني أن لا يصير في قلبه أجلّ من كتاب الله ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن . وأما حرقه والنهي عن الصلاة على النبي (ص) . بأي لفظ كان ، فهذا من البهتان » !

٤ – وأما قوله : وأحرق أيضاً روض الرياحين ، سماه روض الشياطين ، فهذا من الكذب والزور المبين .

٥ – وأما انكار الشيخ فيه مـــا خالف الكتاب والسنة ، وأنكره غيره من علماء المسلمين ، من ترهـات الصوفية وشطحاتهم التي تخالف السنة المحمدية .. وتنفر عنها الأسماع .. فأين الغارة لله تعالى .. والنصرة لسنة نبيه ، والحمية عند سماع .. بعض الحكايات « الواردة فيه » مثل .. بيـع الجنـة وغرفهـا .. وكون (الولي) يجر على مركب في الهواء من الذهب .. ومثل قول بعضهم : إن البر في يمينه ، والبحر في شماله !..

ومثل دعوى بعضهم العروج إلى السماء بالأرواح كل حين ، وعلمهم بما سيقع من

الغيب !

وأمثال هذه الحكايات .. والخرافات .. مما .. هو هتك للشريعة ، وسلوك للغي !

٦ — وأما قوله : من وافقه وصدقه ، قال له : أنت موحد ، ولو كان فاسقاً ، ومن لم يوافقه في كل ما قال ، يقطع بفكره ..

فالحق أن من عرف التوحيد وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً من قلبه والتزم مضمون هاتين الشهادتين فهو عند الشيخ مؤمن موحد ، ولو كان فاسقاً ، وكذلك هو عند سائر العلماء من أهل السنة والجماعة ، لأن الكبائر لا تخرج المسلم الموحد من الإسلام وإنما يخرجه الشرك بالله .

٧ — وأما إبطاله الجعالة على الحج ، فهذه مسألة فيها اختلاف بين العلماء ، والذي يبطله الشيخ من ذلك ما أبطله غيره من علماء المسلمين ، وهو أنه لا يحج إلا لأن يعطى أجرة أو جعلا على ذلك ، فهذا عمله باطل لأنه قصد بعمله الدنيا .

قال الشيخ تقي الدين : « المستحب أن يأخذ الحاج من غيره ليحج ، لا أن يحج ليأخذ . » .

ومن جوّز الإجارة ، قال : تجوز الإجارة عليها ، لما فيها نفع من المستأجر .

٨ — وأما قوله إنه ترك تمجيد السلطان في الخطبة ، فهو صادق في ذلك ، وإنما تركه الشيخ رحمه الله لأنه من البدع المحدثة . وقد كره جمع من المالكية وغيرهم ذلك وقالوا إنه من البدع المنكرة ولم يستحب ذلك أحد من أئمة الدين .

٩ — وأما قوله : وأبطل الصلاة على رسول الله (ص). في يوم الجمعة وليلتها...

فإن الشيخ لم ينه عن ذلك، ولم يبطل إلا .. ما أبطله جماعة قبله من الأعيان.. لأنه بدعة محضة .. فقد ذكر « السيوطي » .. أن أول ما حدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها ، بعد السبعمائة ، في زمن الناصر بن قلاوون ..

وهذه زيادة لم تعرف في زمن الرسول .. ولا ضرورة لها ..

والذي أنكره الشيخ في الحقيقة هو ما يعمل في كثير من الأقطار ولا سيما الحرمين وذلك أن يصعد ثلاثة أو أكثر على رؤوس المنار ، ويقرأون آيات من

القرآن ، ويصلون على النبي ، بأرفع صوت وإعــلان ، ويأتون بقبيح الألحان ، وأصوات تحاكي غنـاء القيان ، ويعطون آيات الله الكريمة ويغيرون حرمة أسمائه العظيمة ، وينقلونها من معناها الى معنى !..

١٠ – وأما قوله : إن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وإن للقاضي أن يقول لا أحكم إلا بجعل ، فقد رد عليه الشيخ واجاد ..

١١ – وأما قوله .. إنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة الخ ..

.. ففي هذا لا يخالف أحد من أئمة الإسلام ..

ومن العجب أن ذلك يفعل في بلدان العارض وغيرها لا ينكره أحد من علمائهم على من فعله ، بل منهم من يفتي الجهال بذلك ويقول : اذبحوا على هذا المريض ... ذبيحة للجن ولا تسموا عليها !

فلما أظهر الله هذا الشيخ ونهى عن ذلك وبلغ الناس كلام الله ، وكلام رسوله ، وكلام أهل العلم أن ذلك كفر ؛ يُنكر عليه ذلك من يزعم أنه من العلماء !

وأما من ذبح مخلصاً لله في ذلك النية ، وقصده بذلك أن يبرىء الله مريضه ، فهذا عمل خالص لله لا ينكره مسلم .

أهم المسائل المختلف عليها

البناء على القبور – دعاء الصالحين – التكفير

هناك امور صغيرة انتقدوها على الشيخ وجماعته ، لا تستحق ان نتوقف عندها . واما المسائل المهمة التي تستحق النظر والتأمل فهي : دعاء الصالحين والتوسل بهم ، والبناء على القبور ، والتكفير ، وهي المسائل الثلاث التي جرت عليها المناظرة غير مرة بين علماء نجد وعلماء مكة .

– ١ –

تقديس الأولياء والقبور

من أكثر مظاهر الوثنية انتشاراً في العالم تقديس العامة الجهلة لقبور الأولياء المحليين ، واتجاههم اليهم بالعبادة أو بما يقرب من العبادة .

وقد تكلم المستشرق « غولد تسيهر » ، في كتابه : « العقيدة والشريعة في الاسلام » ، في ذلك كلاماً بارعاً ، ومما قاله :

« نشأ في الإسلام ، بتأثير عدة عوامل ، بعضها بسيكولوجي وبعضها تاريخي ، شكل من أشكال العبادة ، وهذا الشكل – مهما عدّ مناقضاً لفكرة الالوهية في الاسلام ، ومهما اعتبر خارجاً عن جادة السنة الصحيحة – سرعان ما أصبح « حقاً

مكتسباً ، في دول الإسلام – وهو الصورة الصحيحة للايمان الشعبي أو العامي ..

وهـــذا الإيمان العامي الساذج ، جعل « الأولياء المحليين » موضع التكريم والخوف ، والتبجيل والورع .. والتقديس .

ان الشعب يؤمن بالله ويخشاه ، ولكنه لا يفترض ان الله تعالى يعنى بحاجات الأفراد المختلفة والتافهة أحياناً ، مثل مرض أحدهم ، أو هزال بعض ماشيته أو سوء موسمه الزراعي ونحو هذا .. فتلك أشياء يهتم بها « الولي » المحلي ، حـــارس المنطقة والساهر على سكانها..فيأتون اليه بالقرابين وفي سبيل مرضاته تنذر النذور..

وفي الحق ليس شيء أشد خروجاً على السنة القديمة .. من هـــذا التقديس المبتدع ، المفسد لجوهر الاسلام »[1] ..

ويذكر لنا ابن غنام ، في تاريخه ، نقلاً عن ابن تيمية وغيره ، شيئاً كثيراً مما كانوا يفعلونه في كل البلاد الاسلامية عند القبور ، ومنها :

« .. ما يفعل في مكة ، عند قبة أبي طالب ، وكان شريفاً حاكماً متعدياً ، فيأتون قبره بالسماعات والعلامات للاستغاثة عند حلول المصائب ..

وفي مصر : يأتون قبر أحمد البدوي وغيره .. فيستغيثون ويندبون ويقولون ، فلان استغاث بقبره فأغيث ، وشكا حاله فكشف عنه ضره ، وشكا حاجته فأزيل فقره .

وفي اليمن : قبر يسمى : « منجي الغارقين » ، يستغيثون به وينذر له في البر والبحر ، ولهم في حضرته الأفاعيـــل ، يطعنون أنفسهم بالسكاكين والدبابيس ، ويرقصون ويغنون .. »

ويقول الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في إحدى رسائله ، إن بعض الناس يعدون زيارة قبور الأولياء حجاً ، « وطائفة صنفوا كتباً وسموها : مناسك حج المشاهد .

وآخرون يسافرون الى قبور المشائخ ، وإن لم يسموا ذلـــك نسكا وحجاً ،

---

١ – نقلنا هذه الفقرات بتصرف قليل عن الترجمة العربية لكتاب غولد تسيهر .

فالمعنى واحد ..

ومن الناس من يجعـــل مقبرة الشيخ ، بمنزلة عرفات ، يسافرون اليها وقت الموسم ، فيعرفون بها كما يعرف المسلمون بعرفات ..

ومنهم من يحكي عن الشيخ الميت انه قال : كل خطوة الى قبري حجة . » !

تقديس الأولياء خطر على الوحدة

ان تقديس الأولياء المحليين ، مخالف للدين ، وخصوصاً ما امتزج منه بنوع من العبادة ، لأنه شرك ، لا شك فيه .

ولكن مكافحة هذا التقديس ليست خدمة لفكرة التوحيد وحدها ، وإنما هي ايضاً دفاع عن وحدة المسلمين ، أي إنها عمل « سياسي » أو قومي جليل أيضاً.

وقد نبه ابن تيمية على هذه الناحية ، فقال :

« أهل الشرك متفرقون ، وأهل الإخلاص متفقون .

ولهذا تجد مـــا أحدث من الشرك والبدع يفترق أهله ، فكان لكل قوم من مشركي العرب طاغوت يتخذونه نـداً من دون الله ، فيقربون له ، ويستغيثون بـه ويشركون به ..

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

وهؤلاء ينفرون عن طاغوت هؤلاء ،

بل قد يكون لأهل هذا الطاغوت شريعة ليست للآخرين ..

وهكذا تجد من يتخذ شيئاً من نحو هذا الشرك ، كالذين يتخذون القبور وآثار الأنبياء والصالحين مساجد، تجد كل قوم يقصدون بالدعاء والاستغاثة والتوجه الى من لا تعظمه الطائفة الأخرى ، بخلاف أهل التوحيد ، فانهم يعبدون الله وحده ، ولا يشركون به شيئاً .. والله هو معبودهم وحـده ، إياه يعبدون وعليه يتوكلون ، وإياه يخشون ويرجون ، وبه يستغيثون ، وله يدعون ويسألون .

هدم القباب والمباني على القبور

قام الشيخ ومن معه بهـدم المباني التي كانت على قبور زيد بن الخطاب وبعض

الصالحين ، لأن الناس كانوا يعظمونها ويدعون أصحابها وينذرون لهم النذور ويذبحون لهم الذبائح ، ويستغيثون بهم ويستشفعون .

وكانت غاية الشيخ من وراء ذلك سد الذرائع وإزالة سبب من أسباب الشرك ، بمنع الناس من قصد تلك الأماكن .

وقد أشاع خصوم الشيخ يومئذ أنه نبش قبور الصحابة وأزال أضرحتهم ، لأنه لا يكرمهم أو لا يحبهم ..

وليس الأمر كذلك ، فالشيخ يحب الصالحين ويكرمهم ، وهو لم ينبش قبورهم ، وإنما أزال الأبنية التي أحدثوها فوق قبورهم ، خلافاً لسنة النبي (ص) ، الذي أمر بتسوية القبور ، ومنعاً لما كان يحدث عندها من المفاسد .

ولم يقل الشيخ ان البناء على القبور من الشرك الأكبر ، كما توهم بعض الناس .

سأل أحدهم الشيخ عن البناء على القبور ، والصلاة عند القبر ، هل هما محرمان ، فكان مما أجاب به :

« اما بناء القباب عليها ، فيجب هدمها .. وما علمت انه يصل الى الشرك الاكبر . وكذلك الصلاة عنده ، وقصده لاجل الدعاء ، فكذلك لا أعلمه يصل الى ذلك . ولكن هذه الامور من أسباب حدوث الشرك ، فيشتد نكير العلماء لذلك . »

ومهما يكن الأمر فان الوهابيين الأوائل بالغوا في هدم القباب والمباني المقامة على القبور ، حتى قال المستشرق « بركارت » الذي كان يقيم في مكة ، بعد دخول الوهابيين اليها ، إن بعض الوهابيين كانوا يظنون أن الفارق بينهم وبين غيرهم من المسلمين ، هو : تهديم القباب .

ونسب اليهم انهم كانوا يقولون : « رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم الله من بناها . »

وليس الشيخ أول من هدم القباب والمباني ، على القبور ، سداً للذرائع وعملاً بحديث تسوية القبور . ولكن البلاد الاسلامية ، في كثرتها ، ما تزال تبني القباب والمباني على القبور ، معتقدة أن العلم بحقائق الدين يمنع من تعبد القبور ولو أقيمت

عليها جبال من المباني .

وقد جاء في الرسالة التي بعثها الشيخ الى علماء مكة ، حول هدم الأبنيـة على قبور الصالحين ، قوله ، بعد ذكره أنه متبع لا مبتدع :

« فان كانت المسألة إجماعاً ، فلا كلام .

وان كانت مسألة اجتهاد ، فمعلومكم انه لا إنكار في مسائل الاجتهاد ، فمن عمل بمذهبه ، في محل ولايته ، لا ينكر عليه . »

وقد سئل سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز – الملك فيصـل اليوم – وهو في مصر ، عن رأيه في مسألة القبور ، فأجاب :

« أحب أن تنقل عني أن الوهابيين ، وهم أتبـاع أحمد بن حنبل ، ليس لهم اجتهاد خاص فيما يتعلق بمسألة الأضرحة والقباب » .

وهذا جواب حكيم . فالمسألة ليست اجتهاداً من الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصاره ، ولكنها مسألة تعالج في إطار السنة .

- ٢ -

التوسل والشفاعة

جرت المناظرة ، في مسألة التوسل والتشفع بالأولياء ، بين علماء مكة وعلماء نجد ، مرتين ، ففي المرة الأولى ، جرت المناظرة بين علماء مكة وبين الشيخ عبد العزيز الحصين ، موفد الإمام والشيخ ، في ولاية الشريف أحمد بن سعيد ، عام ١١٨٥ هـ. وكان جواب الحصين ، على الأسئلة التي وجهت اليه ، كما لخصه ابن غنام: أن « دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل قد نص عليه الأئمة ... وقرروا أنه من الشرك .. ولا يجادل في جوازه إلا كل ملحد جاهل » .

وجرت المناظرة مرة ثانية سنة ١٢١١ هـ. في ولاية الشريف غالب ، وكان يمثل علماء نجد فيها ، الشيخ حمد بن ناصر بن معمر ، فأعيد طرح مسألة الشفاعة على بساط البحث بهذه الصيغة :

« ما قولك في من دعا نبياً أو ولياً ، واستغاث به في تفريج الكربات ، كقوله : يا رسول الله ، أو يا ابن عباس ، أو يا محجوب ، أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟ »

فكان من جواب الشيخ حمد :

قال صلى الله عليه وسلم : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فان كل بدعة ضلالة . »

.. والذي شرعه لنا رسول الله (ص) عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة

والاحسان الى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له .. فبدّلَ أهلُ الشرك .. الدعاءَ له بدعائه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، وقصدوا بالزيارة التي شرعها رسول الله (ص) إحساناً الى الميت سؤال الميت ، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ، الذي هو مخ العبادة .

ومن المحال أن يكون دعاء الموتى مشروعاً ، ويصرف النظر عنه القرون الثلاثة المفضلة .. ثم يوفق له الخلف ، الذين يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله (ص)، وهذه طريقة الصحابة والتابعين لهم باحسان، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا ، إذا كان لهم حاجة ، قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها ، فضلاً عن أن يسألوا أصحابها الفوائد و كشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوافر الهمم والدواعي على نقله ؟

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله (ص) بالأمصار عدد كثير ، متوافرون ، فما منهم من استغاث عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر به ، ولا أحد من الصحابة استغاث بالنبي (ص) من بعد موته ، ولا بغيره من الأنبياء ، ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها » .

ثم يستشهد الشيخ حمد بكثير من الآيات القرآنية والأحاديث التي تنهى عن دعاء غير الله ، وينتهي إلى القول :

« فالذي نعتقده وندين به الله أن من دعا نبياً أو وليداً أو غيرهما ، وسأل منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات أن هذا من أعظم الشرك ، الذي كفر الله به المشركين ، حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار ، بزعمهم ، قال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . » .

شفاعة النبي

يوافق الشيخ كثير من أهل السنة في إنكار تشفع الناس بالأولياء ، ولكن فريقاً منهم يرون جواز التشفع برسول الله (ص) لأنه (ص) يشفع دائماً ، في

حياته وبعد موته فهو حي في قبره .

ولم ينكر الشيخ شفاعة النبي (ص) ، ولكنه لا يطلبها من النبي (ص) . وإنما يطلبها من الله سبحانه ، قال :

« وأما الشفاعة فهي كلها لله ، ولا يشفع النبي (ص) ، ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه ، فيجب أن يدعو أحدنا الله سبحانه ، قائلاً :

اللهم لا تحرمني شفاعته ، اللهم شفعه في !

وأمثال ذلك .. لا أن ندعو النبي نفسه . » ..

رأي عالم سلفي في التوسل

يظهر أن مسألة التوسل ليست من الأمور البسيطة ، التي يتسهل الكلام عنها لكل أحد . والأولى أن ننظر إلى قصد الناس أكثر من نظرنا الى العبارات ، وان كانت العبارات توقع بالشرك أحياناً .

ويقول الاستاذ العالم الشيخ بهجة البيطار ، من العلماء السلفيين ، في كلمة ألقاها في المؤتمر الأسلامي: « ومنها أيضاً مسألة التوسل .. لا شك أن من أستقرأ النصوص وأمعن النظر في مضمونها ظهر له أنهـا متضافرة على مشروعية التوسل اليه تعالى بالأعمال الصالحة ، ولما كان بعض ظواهر النصوص يوهم شمول التوسل بالذات والجاه أيضاً ، كانت المسألة خلافية وكان فيها قولان لمثل الإمام أحمد بن حنبل ، كما نقل عن الامـام ابن تيمية في فتاويه وغيرها فاذا كان الأمر كذلك فنحن لا ننكر التوسل بجاه النبيين والصالحين كانكارنا على من يدعو غير الله تعالى .

على أنه قد ورد « اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق ممشاي اليك » فاذا أردنا التوسل والتمسك بالمشروع اقتصرنا على ما ورد واكتفينا به ، اذ أن الإكتفاء بما تجمع الكلمة عليه أولى من الاجتهاد في غيره واحداث خلاف عليه » ...

- ٣ -

التكفير !

كان علماء مكة يأخذون على الشيخ وجماعته أنهم يكفرون كثيراً من الناس ، بل كل إنسان لا يقول بقولهم .. وقصة التكفير ، في الحقيقة قديمة ، قالها جماعة من أهل نجد أنفسهم ، وكان اعتراضهم قائماً ، أول الأمر ، على أن من نطق بالشهادتين كان مسلماً ، ولم يجز تكفيره ، فلما قال الشيخ إن كثيراً من البدو كفروا ، أنكروا عليه ذلك ، لأن البدو يقولون : « لا إله إلا الله » .

قال الشيخ : « إنكم تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله ، وتبرأوا من الدين كله ، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث .. ومع هذا تنكرون علينا كفرهم ، وتصرحون بأن من قال : « لا إله إلا الله » ، لا يكفر ! »[١] وقال أيضاً : « فلما بينت ما صرّحت به آياتُ التنزيل ، وعلّمه الرسول أمتّه وأجمع عليه العلماء : من أنكر البعث أو شك فيه ، أو سبّ الشرع ، أو سبّ الأذان إذا سمعه ، أو فضل فراضة الطاغوت على حكم الله ، أو سبّ من زعم أن المرأة ترث ، أو إن الانسان لا يؤخذ في القتل بجريرة أبيه أو ابنه : أنه كافر مرتد — قال علماؤكم : معلومٌ أن هذا حال البوادي ، لا ننكره ، ولكن يقولون : « لا إله إلا الله » ، وهي تحميهم من الكفر ، ولو فعلوا كل ذلك ! »[٢] .

---

١ – الرسالة (١٩) من رسائل الشيخ – ابن غنام .

٢ – الرسالة السادسة من رسائل الشيخ – ابن غنام .

ومن يتأمل في أقوال الشيخ يتبين من خـــلالها قوة حجته ، وأي منصف لا يشارك الشيخ في أن كلمة « لا إله إلا الله » لا تبرىء قائلها « الذي يجهل معناها ، ولا يعمل بمقتضاها ، ويصل به الأمر الى حد إنكار البعث .. » من الشرك ، ولا تحميه من الكفر ؟

كان خصوم الشيخ ، أو طائفة منهم ، يباركون دعوته ، ويحمدون له قيامه في نصرة الدين ، ولكنهم كانوا يريدون منه أن يترك تكفير مخالفيه ..

وقد رد الشيخ على منتقديه ردوداً كثيرة ، ومما قاله :

وأما التكفير ، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ، ثم بعد مـا عرفه : سبه ، ونهى الناس عنه ، وعاداه ، فهذا هو الذي أكفر !

وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك .

وأمـا القتال ، فلم نقاتل أحـداً إلى اليوم إلا دون النفس والحرمة ، وهم الذين أتونا في ديارنا ، ولا أبقوا ممكناً ، ولكن نقاتل بعضهم على سبيل المقابلة ، وجزاء سيئة سيئة مثلها وكذلك من جاهر بسب دين الرسول ، بعد ما عرف .

ويرد الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، في كتابه « مصابيح الظلام » ، على من نسب الى الشيخ تكفير الأمة ، وأنه جعل بلاد المسلمين، غير نجد، بلاد كفر ، فيقول :

« وأما قوله فسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها ، وقاتلها على ذلك جملة ، الا من وافقه على قوله . فهذه العبارة تدل على تهور في الكذب ووقاحة تامة ...

وصريح هذه العبارة ان الشيخ كفر جميع هذه الأمة من المبعث النبوي الى قيام الساعة ، الا من وافقه على قوله الذي اختص به !

وهل يتصور هذا عاقل ، عرف حال الشيخ وما جاء به ودعا اليه ، بل أهـــل البدع كالقدرية والجهمية والرافضة والخوارج لا يكفرون جميع من خالفهم بل لهم أقوال وتفاصيل يعرفها أهل العلم .

. وأما قوله : وجعل بلاد المسلمين كفارا أصليين !

فهذا كذب وبهت ، ما صدر ولا قيل ، ولا أعرفه عن أحد من المسلمين فضلا

عن أهل العلم والدين ، بل كلهم مجمعون على أن بلاد المسلمين لها حكم الاسلام في كل زمان ومكان ..

مسألة التكفير في المناظرة

كانت مسألة التكفير مما جرت عليه المناظرة بين علماء مكة وعلماء نجد ، وكان يمثل نجد : الشيخ « حمد بن ناصر بن عثمان المعمري » وقد طلب منه علماء مكة كتابة أجوبته ، فكتبها ، ومما قاله :

« أما المسألة الثانية وهي : من قال لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، ولم يزك ، هل يكون مؤمناً ؟

فنقول : أمـــا من قالها ، وهو مقيم على شركه ، يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، فهذا مشرك ، حلال الدم والمال ..

وأما إن وحد الله تعالى ولم يشرك به شيئاً، ولكن ترك الصلاة والزكاة تكاسلا عنها ، فهذا قد اختلف العلماء في كفره .. »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

نظام المطوعة . الاكراه على الصلوات في المساجد . التقشف . منع المنكرات

سأل عالم من أهل المدينة الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن سبب الاختلاف بين أهل نجد وبين سائر الناس ، فأجابه الشيخ :

« .. ان سألت عن سبب الاختلاف الذي هو بيننا وبين الناس، فما اختلفنا في شيء من شرائع الاسلام من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحج ، وغير ذلك، ولا في شيء من المحرمات ..

الشيء الذي عند الناس زين ، هو عندنا زين .
والشيء الذي عندهم شين ، هو عندنا شين .
الا اننا نعمل بالزين ، ونغصب الذين عندنا عليه .
وننهى عن الشين ، ونؤدب الناس عليه » .

هذا هو «الفرق» الكبير بين بلاد نجد في عهد الشيخ ، وبين بقية بلاد الاسلام .
في نجد يكرهون الناس بالقوة على تنفيذ أوامر الدين واجتناب نواهيه .
وفي سائر بلاد الاسلام ، يترك الناس أحراراً في أمور الدين ..

المسلم ، في دول الاسلام ، لا يكره على الصلاة أو الزكاة أو الحج أو الصوم ، ونحو ذلك ..

ولا يمنع من شرب المسكرات ، أو الاستمتاع بألوان من اللهو ، قد تتجاوز كل حد ..

أما في نجد ، فالناس يكرهون على الصلوات المفروضة ، بل يكرهون على ادائها في المساجد جماعة ، وعلى اداء الزكاة الخ ..

والناس، في نجد ، يمنعون من شرب الخمور، ولا يسمح لهم بالاجتماع في أماكن مخصوصة لسماع الغناء أو مشاهدة النساء يرقصن ويلعبن ويعرضن أجسادهن ، بل كانوا يحظرون عليهم ما هو أهون من ذلك ، وما كانوا يتساهلون إلا في أشياء محدودة جداً ، قال الشيخ عبد اللطيف :

« يحل كل لعب مباح ، لأن النبي (ص) أقر الحبشة على اللعب في يوم العيد في مسجده ..

ويحل الرجز والحداء ، في نحو العمارة والتدريب على الحرب بأنواعه ، وما يورث الحماسة فيه كطبل الحرب .. دون آلات الملاهي ، فانها محرمة ، والفرق ظاهر .

ولا بأس بدف العرس » .

في كل بلاد العالم قوانين موضوعة يلزم الناس باتباعها بالقوة، أما الدين فلا تلزم الدول رعاياها باتباعه، وإنما تكل أمره الى ضمائر الناس ، من شاء اتبع أحكامه ومن شاء أهملها ..

وليس الأمر هكذا في نجد ، فالشرع هنا هو : نظام الدولة وقانونها ، وليس لها نظام غيره .

المحتسب والمطوع

ولم يكن هذا شيئاً ابتكرته نجد لنفسها أو ابتكره لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما هو ارث أو تقليد قديم ، أصيل ، فالدول الاسلامية ، قديماً ،

كانت كلها قائمة على أساس الشرع الاسلامي وحده .

وكان فيها منصب يسمى : « الحسبة » ، ويسمى صاحبه : « المحتسب » ، وعمله : تطبيق القاعدة الدينية العظيمة : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وكان مع المحتسب أعوان ، يراقبون العبادات والأخلاق العامة والتجار وأرباب الحرف والاسعار والموازين والطرق والمباني ، الى غير ذلك .

فمراقبتهم للعبادات : أن يسوقوا الناس الى صلاة الجمعة والجماعة والأعياد ، ويمنعوهم من الافطار علنا في رمضان الخ ..

ومراقبتهم للأخلاق : أن يريقوا الخمور ، ويكسروا المعازف ، ويمنعوا اللعب بالنرد والشطرنج ، وتطيير الحمام ، وعمل التماثيل والصور للكائنات الحية ، وكانوا يمنعون اجتماع الناس على السحرة والمشعوذين والمتكلمين بالغيب ، ونحو هذا ..

ثم منعوا المحتسبين من مراقبة العبادات ، وقصروا مهمتهم على مراقبة الصناع وأرباب الحرف والموازين والأسعار والأبنية وما يتصل بذلك ، وهو داخل اليوم في اختصاصات البلديات ووزارات الصحة .

ثم أبطلت الحسبة ، وأهملت الدول الاسلامية أمور الدين ..

وبقيت نجد متمسكة بالشرع ، محتفظة بالحسبة ، ويسمى المحتسب ، في نجد : المطوع .

وكانت كلمة « مطوع » ، تطلق على الرؤساء الذين حلوا محل المحتسبين ، ولكنها تطلق الآن على الأعوان ، وهم بمثابة الشرطة الدينية أو الأخلاقية ، ولهم رؤساء ، ويطلقون اليوم على هذه التنظيمات اسم هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي تابعة لمنصب المفتي الاكبر للمملكة العربية السعودية ، الذي يقوم عليه عالم من آل الشيخ .

ان عمل المطوع هو حمل الناس ، بالقوة عند الضرورة ، على تنفيذ أوامر الدين ، ومنع المنكرات .

ولا شك في أن عمل المطوعين ، أو « المطوعة » ، يتغير بتغير الأزمنة ، شدة وتراخيا ، وانكماشا واتساعا : فقبل عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكن

للمطوعين كبير أثر في حيـــاة نجد ، ولعلهم كانوا يحمون كثيرا من المنكرات ، يظنونها من الدين ..

وبعد استقرار الأمور للشيخ ولأمراء آل سعود ، أصبح المطوعون منفذين لأوامر الدين ونواهيه ، كما بينها لهم الشيخ .

وربما تشدّد بعض المطوعين أحياناً شدة منفرة مؤذية وهذا لا يعني أن النظام كله غـير صالح ، وانمـا يعني دخول الفساد على بعض الموظفين ، وليس ذلك خاصا بفئة المطوعين ، ولكن كثرة اتصالهم بحيـاة الناس اليومية يوجب السهر الموصول على سلوكهم والعناية الشديدة باختبارهم وتعليمهم واجباتهم .

الاكراه على الصلاة

أهم ما يفعله المطوعون : سوق الناس الى الصلاة في المساجد .

هـــذا الأمر أكثر شيء يلفت أنظار الأجانب الذين يزورون البلاد العربية السعودية ، وهـــو شيء لا يعرفونه في بلادهم ، وذلك أن المطوعين ، المسلحين بالهراوات ، يخرجون الى الطرق ، عند اقتراب مواعيد الصلاة ، ويحملون التجار على اغلاق حوانيتهم والذهاب الى المساجد ، ويفعلون مثل ذلك بمن يشاهدونه من المارة ، ويذهب بعضهم الى الدور يقرعون أبوابهـــا ويهيبون بأصحابها الخروج الى المساجد لتأدية الصلاة، وكان عند أئمة المساجد جرائد بأسماء سكان محلاتهم ، يقرأون أسماءهم ليعرف من تخلف منهم عن الصلاة ، فمن تخلف عنها بغير عذر مقبول نزلت به العقوبة المستحقة .

لا يشك أحد في أن الصلاة ركن من أركان الاسلام ، وفرض عين على كل مسلم ، ولكن الدول الاسلامية ، وخصوصاً تلك التي تفرق بين الشرع وبـــين القانون ، لا ترى من حقها ان تسوق الناس بالقوة الى المساجد، وليس ذلك بسبب قول بعضهم ان صلاة الرجل في داره صحيحة ، ولكنها ، كما أسلفنا ، ترى نفسهـا حارسة القانون لا الشرع .

مكافحة المنكرات

لا نعني بمكافحة المنكرات ، مكافحة السرقات ونحو ذلك ، مما تقوم به دوائر الشرطة ، وانما نعني بالمنكرات ما هو متصل بسلوك الأشخاص وأخلاقهم ، وخصوصاً « تصرفاتهم » التي لا عدوان فيها على أحد ، ولكنها تعد منافية للدين والعرف ، كخروج امرأة مثلاً الى الشارع شبه عارية ، أو تعاطي أحدهم المسكرات ..

من الأمور التي تلفت نظر الأجانب في البلاد السعودية ، حتى اليوم ، خلوها من الملاهي والحانات والمقاهي المجهزة بأدوات اللعب ، والمسارح ودور السينما ، ونحو هذا ، بحيث يمكن القول ان نوعاً من التقشف قد فرض على حياة الأفراد .

يضاف الى ذلك قيام المطوعين بمنع عرض الصور ، والغناء غير الوقور .. أو اجتماع بعض الأفراد على حالة غير مرضية ، وما يشبه ذلك من المفاسد ..

شيء من هذا « الوقار » في مظاهر الحياة العامة ، نجده في حاضرة الفاتيكان ، مقر البابا ، أعظم رئيس ديني مسيحي في العالم ، وقد فرض أيضاً على مدينة روما ، التي تقوم حاضرة الفاتيكان في طرف منها ، فالدولة تحظر ظهور النساء في ملاهي روما لعرض أجسادهن والقيام برقصات وحركات « خليعة » ، مستهترة ، ونحو هذا من المفاسد التي لا تليق بحرمة بلدة يقوم فيها مركز الكاثوليكية في العالم .

ويفهم الأجنبي أن تحافظ البلاد العربية السعودية ، وفيها الأماكن المقدسة ، وهي الدولة القائمة على أساس الشرع ، على الأخلاق الاسلامية ، وتتمسك ، ما استطاعت ، بتراثها الأصيل ، ولكن السياسة الشرعية نفسها تستوجب معالجة هذا الأمر بحكمة ، حتى لا تنشأ عن الشدة مفاسد قد تفوق التراخي والتساهل ، لأن « الكبت » ، يعقبه الانفجار .

وقد أدركت حكومة البلاد السعودية هذا الأمر ادراكاً واعياً ، فأخذت تتساهل في مسائل التسلية البريئة ، حتى لا ينصرف الناس في السر ، ان لم نقل في العلن ، الى ما هو أسوأ ، فالراديو والتلفزيون منتشران اليوم في البلاد ، ويستطيع الناس الاستماع ، وهم في دورهم ، الى الأغاني ورؤية الأفلام والمسرحيات ، وربما

أذنوا في مستقبل غير بعيد بافتتاح دور للسينما لعرض أفلاماً مقبولة ، وغير ذلك ، في تطور هادىء رصين موزون .

آداب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يظن بعض الناس ، لما يرونه من شدة المطوعين أحياناً ، أن هذه الشدة ملازمة لقاعدة « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وهذا وهم .

فلهذه القاعدة آداب وسياسات متى أحسن فهمها واتباعها ، ضمن ذلك للمجتمع الاسلامي حياة سليمة رغيدة . وللشيخ محمد بن عبد الوهاب كلام في هذه الآداب ، يعد من أحسن وصاياه ، ويكشف عن سياسته الشرعية القائمة على الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما أمر الله تعالى ، لا كما يتوهم الجهلة .

وصايا الشيخ

قال ، رحمه الله ، في رسالة إلى أهل سدير :

« إن بعض أهل الدين ينكر منكراً ، وهو مصيب ، لكن يخطىء في تغليظ الأمر إلى شيء يوجب الفرقة بين الاخوان ، وقد قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » الآية الكريمة .

وقال محمد (ص) : « إن الله يرضى لكم ثلاثا : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » .

وأهل العلم يقولون : إن الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحتاج إلى ثلاث : أن يعرف ما يأمر به وينهى عنه ، ويكون رفيقاً فيما يأمر به وينهى عنه ،

صابراً على ما جاءه من الأذى .

وأنتم محتاجون للحرص على فهم هـذا والعمل به ، فان الخلل إنمـا يدخل على صاحب الدين من قلة العمل بهذا أو قلة فهمه .

وأيضاً يذكر العلمـاء أن إنكار المنكر إذا صار يحصل بسببه افتراق لم يجز إنكاره !

فالله الله في العمل بما ذكرت لكم والتفقه فيه، فانكم إن لم تفعلوا صار إنكاركم مضرة على الدين ، والمسلم ما يسعى إلا في صلاح دينه ودنياه .

والجامع لهذا كله : إذا صدر المنكر من أمـير أو غيره : أن ينصح برفق ، خفية ما يعلم أحد ، فان وافق ، وإلا أرسل اليه رجلاً يقبل منه بخفية . فان لم يفعل ، فيمكن الإنكار ظاهراً، إلا ان كان على أمير ونصحه ولا وافق واستحلف عليه ولا وافق ، فيرفع الأمر (يمّنا - أي الى جهتنا - خفية ..)

وصايا ابن تيمية

وقد دعا ابن تيمية القائمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الى التـأدب بأدبين ، قال :

« إعلم ان من الأعمال ما يكون فيه خير ، لاشتماله على أنـواع من المشروع ، وفيه أيضاً شر ، من بدعة وغيرها ، فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة الى الإعراض عن الدين بالكلية ، كحال المنافقين والفاسقين .

وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة ، فعليك هنا بأدبين :

أحدهما : ان يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً ، في خـاصتك وخاصة من يطيعك ، واعرف المعروف ، وأنكر المنكر .

الثاني : أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الامكان . فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه ، فلا تدعو الى ترك منكر ، بفعل ما هو أنكر منه ، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضرّ من فعل ذلك المكروه .

ولكن اذا كان في البدعة نوع من الخـير ، فعوّض عنه من الخير المشروع

بحسب الامكان .

فتعظيم المولد واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ، ويكون له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد. ولهذا قيل للامام (أحمد) عن بعض الامراء، إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال : دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب ! ..

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة . وقد تأول بعض الأصحاب أنه أنفقها في تجويد الورق والخط . وليس مقصود أحمد هذا ، وإنما قصده : إن هذا العمل فيه مصلحة ، وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها ، فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ، مثل أن ينفقهـا في كتاب من كتب الفجور ...

فتفطن لحقيقة الدين ، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد ... حتى تقدم أهمها عند المزاحمة .

أمور مفتراة على أهل نجد

الدخان . القهوة . العادات والملابس . المولد النبوي . المنار

من يقرأ كتابات الغربيين ، وحتى العرب ، عن الوهابية ، يستغرب كثرة ما نسبوا الى أهل نجد من الامور التي لا يقولون بها ، ولا يفعلونها .

من ذلك اتهامهم الوهابيين بأنهم يتشددون في المباحات ، فيحرمون مثلا القهوة، ويوجبون على الناس ارتداء ملابس مخصوصة ، ويكفرون من يستعمل الدخان ، أو يشهد المولد النبوي ، ويريدون إخضاع عادات الناس المباحة لما تخضع له العبادات ، الى غير ذلك .

وسنلم بشيء من هذه الأقوال ..

العبادات والعادات

يقول أبو زهرة وغيره إن الوهابيين لم يكتفوا بجعل العبادات كما قرّرها الإسلام ، وبينها ابن تيمية ، وإنما توسعوا في معنى البدعة ، فجعلوا من البدع عادات لا صلة لها بالعبادات ، كبعض أمور الملابس والمآكل ...

وهذا زعم باطل ، فشأن الوهابيين في هذا الأمر شأن سائر المسلمين السنيين .

ومن كتاباتهم التي تدل على تفريقهم بين العادات والعبادات ، ما كتبه الشيخ سليمان بن سحمان ، حول العمائم والملابس الخاصة التي أحدثت لرجال الدين ، فقد أنكر لزومها ، لأن رسول الله (ص) كان قبل النبوة وبعدها يلبس لباس العرب المعتاد ، ولا يتميز منهم بشيء خاص !

وأردف قائلًا : إن لبس العمائم والأردية والأزر وغيرها هو من العادات ، التي هي قسم المباحات ، التي لا يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، لا من قسم العبادات.

ولذلك لا مجال للقول بأن من يأكل كذا أو يلبس كذا ... يبتدع بدعة أو يرتكب جرماً ! .

قال الشيخ عبد اللطيف : « الكلام في العبادات لا في العادات ...

والمباحث الدينية نوع ، والعادات الطبيعية نوع آخر ، فما اقتضته العادة من أكل وشرب ومركب ولباس ونحو ذلك ، ليس الكلام فيه .

والبدعة ما ليس لها أصل في الكتاب والسنة ، ولم يرد بها دليل شرعي من هديه وهدي أصحابه »

الدخان

ليس النهي عن استعمال الدخان من عمل « الوهابيين » ، وإنما هو اجتهاد إسلامي عام ، يتشدد فيه بعض الناس ويتسامح فيه آخرون .

وقد أدخل الدخان « التتن والتنباك » إلى استانبول في أوائل القرن السابع عشر للميلاد ، فاحتج علماء الدين الاتراك عليه ، وأصدر السلطان مراد الرابع أمره بتحريمه ومعاقبة من يستعمله ، ولم يكن السلطان مراد وهابياً ! ...

وفي منطقة نجد ، من المملكة العربية السعودية ، لا يستعمل الناس الدخان إلا قليلاً ، بسبب التقاليد القديمة الموروثة ، التي بقيت آثارها الحسنة حتى اليوم ، وكان الوهابيون يتشددون في منع الدخان ، ويزعم « بلغريف » ان بعض العوام من الغلاة كانوا يعدون استعمال الدخان من الكبائر ، وليس قولهم حجة !

ولكن « بلغريف » يجد لتشدد الوهابيين القدامى في منع الدخان ، عذراً واضحاً ، وهو أن الدخان الذي كان يجلب إلى نجد ، من عمان ، كانت قوته « السمّية » تفوق ثلاثين مرة قوة السمّ الموجود في دخان « فيرجينيا » اليوم مثلاً ! ... [1]

القهوة

يقول أبو زهرة إن الوهابيين كانوا يحرمون على أنفسهم القهوة، ثم تساهلوا فيها..

ووقع بهذا الخطأ كثير من المؤلفين الغربيين القدماء ، توهموا أن شرب القهوة محرم في بلاد نجد !

والحقيقة هي أن الوهابيين لم يحرموا القهوة ، وإنما حرمها جماعة من « الجهمية » في عمان .

وقد قام رجل منهم يدعى « عبد العزيز بن مزروع » يشكو من انتشار شرب القهوة في نجد ... وأنه من البلاوي على النجديين ، وطلب تحريم شربها ، فردّ عليه العالم الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ، مفتي الديار النجدية ، رداً ساخراً لطيفاً ، تضمن كثيراً من الفوائد والحكم ، فكان دفاعاً « مجيداً » عن القهوة وغيرها من المباحات .

دفاع عن القهوة !

قال الشيخ عبد اللطيف :

---

١ - يقول الاستاذ احمد السباعي ، في تاريخ مكة ، ان الدخان ظهر في مكة عام « ١١١٢ » هـ .

« ... قولك : من البلاوي على أهل الوقت عامة ، وعلى أهل نجد خاصة ، في دنياهم : القهوة .

فلا أدري ما يراد بالبلوى هنا ؟

أهي الابتلاء في الدين ، أو هي الابتلاء بالنفقة فقط ؟

فإن كان الأول فلا يسلم بمجرد الدعوى .

وإن كان الثاني ، فالناس درجات وطبقات في اليسر والعسر والمعيشة ، وتوسع الأغنياء إنما يذم لوجوه لا تختص بالقهوة ، بل يجري في غير ذلك من سائر المباحات .

وأما التعليل بأن فيها مضار للأبدان ، فلا ينبغي أن يؤخذ على إطلاقه ، فإن الأبدان الدموية والبلغمية تنتفع بها بلا نزاع ، والسوداوي والصفراوي يمكنه التعديل بالتمر – الذي هو غالب غذاء أهل نجد – وقال « داود » في تذكرته : يعدّلها كل حلو .

وأما قولك : وإذا كان الخمر يزيل العقل عند شربه ، فهي ، شاهدناها ، تخامر العقل عند فقدها !

فهذا الكلام لا ينبغي أن يقال ، لأن الخمر تزيل العقل بمخامرته أي بتغطيته ، وهي – القهوة – لا تزيل العقل ولا تخامره ، بل ربما كان شاربها قوي الذهن حاد الإدراك جيد الحافظة ، والموجود عند فقدها لا يسمى مخامرة ، وإنما كسل وفتور ، لها لا بها ...

وأما قولك : وإذا عرضت مضارها على العاقل منهم شهد بها وعابها .

فيقال : أي عاقل يراد بهذا ؟ أما العامة ومن لا عناية له بمعرفة الأحكام الشرعية ... فعقولهم لا تصلح أن تكون ميزاناً ...

وقولك : واذا وزنتها العقول السليمة ، فلا شك أنها لهو ولعب .

– .. فاللهو واللعب ما لا يعود بمنفعة أصلا ويعود بمضرة رجحت على مصلحته ، وإدخال القهوة في هذا التعريف يحتاج إلى أصول ومقدمات ... وما ذكرت في التعليل قد يجري في كل مباح .. وليس ذلك الوصف لازماً للقهوة .

وأما كونها لا تغني من جوع ولا تروي ..

فهذا الوصف يأتي على كثير مما كانوا يتعاطونه من المباحات ولم تأت الشريعة بتحريم ما لا يغني من جوع ولا يروي .

وأما كون مزرعها من بلاد الكفار .

فمتى كان عندكم امتناع ما زرعه الكفار ، ونسجه الكفار ، وخرج من بلاد الكفار ، وجمهور أموالكم ومأكلكم من هذا الضرب ؟

... قد كانت المدينة في عهد النبوة يجلب إليها من بلاد الكفار أنواع المآكل والأدهان والملابس التي نسجت وصبغت ببلاد الكفار .. كما لا يخفى على من له أدنى نظر في الأخبار .

وأما ما زعمت من ضررها على أهل الجهاد .. فمن الطرائف ... وربما قيل بعكس القضية ، لما فيها من « تنشيف البلغم » وتخفيف المواد المكسلة الردية .

ولو صرف الأخ النجيب فكرته ونظره إلى ما تعطل من أصول الدين ... لكان هذا أولى وأجدر . » ــ انتهى كلام الشيخ .

المولد النبوي

أنكر ابن تيمية على الناس ، في زمانه ، مضاهاتهم للنصارى واتخاذهم عيداً من يوم المولد النبوي ، يحتفلون به كما يحتفل المسيحيون بعيد ميلاد المسيح ، عليه السلام .

وحجة ابن تيمية في إنكاره أن هذا شيء لم يفعله السلف ، « مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه . ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ، لكان السلف أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله (ص) وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه: في محبته ومتابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان . »

ومع ذلك لم يتشدد ابن تيمية في إنكاره للموالد ، بل أظهر وهو يتحدث عن أدب الإنكار ، أن « تعظيم المولد واتخاذه موسماً ، قد يفعله بعض الناس ويكون

له فيه أجر عظيم ، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله (ص) ...

وقد يحسن من بعض الناس ، ما يستقبح من المؤمن المسدد .

ولهذا قيل للامام أحمد عن بعض الأمراء إنه أنفق على مصحف ألف دينار ونحو ذلك ، فقال :

– دعه ! فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب !

مع أن مذهبه : أن زخرفة المصاحف مكروهة .

.. فهؤلاء إن لم يفعلوا هذا وإلا اعتاضوا الفساد الذي لا صلاح فيه ..

فتفطن لحقيقة الدين وانظر مـــا اشتملت عليه الأفعـال من المصالح الشرعية والمفاسد .. حتى تقدم أهمها عند المزاحمة » .

وقد كتب الشيخ الى سليمان بن سحيم ينكر عليه حضور الموالد ، فقال :

« .. الناس يشهدون عليك أنـــك تروح للمولد ، وتقرأه لهم ، وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ، ويطلبون منهم الغوث والمدد ، وتأكل اللقم من الطعام المعدّ لذلك .

فإذا كنت تعرف أن هذا كفر ، فكيف تروح إليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم .. » .

ويذكر الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب أن من البدع: مـــا اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي (ص) بقصائـد بألحـــان ، وتخلط بالصلاة عليه ، والأذكار والقراءة ، ويكون بعد صلاة التراويح ، ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب .

وفي اعتقادنا أن الشيخ وابنه عبدالله إنما تشددا في إنكار الاحتفـــال بالمولد النبوي ، لأنه كان يقـــام على شكل مخصوص لا تراعى فيه الأوامر والآداب الدينية ، أما إذا اكتفى الانسان في يوم المولد النبوي بقراءة سيرة النبي (ص) ورواية أحاديثه وتعداد فضائله لمجرد الذكرى والاعتبار ، فمـــا الضرر في ذلك ، وإن كان السلف لم يكونوا يفعلونه ؟

ان البدعة في العبادات ، فإذا تجرد المولد من فكرة العبادة والقربة ... لم يبق مجال للتحدث عن البدعة والابتداع ، والله أعلم !

المنار

وقالوا : ان الوهابيين يهدمون المآذن ويستنكرونها ، ولا يتخذونها في مساجدهم ، لمجرد أنها لم تكن موجودة في زمان النبي (ص) .

وقد ردّ على هذا الزعم الشيخ عبد اللطيف ، فقال :

« هذا أيضاً من البهت ، فالمنار موجود مشيد بنجد الآن . وليس وجود المنار شرطاً في الإسلام ولا واجباً ، وفي استحبابه نزاع لعدم وجوده في عهده (ص) . وكان المؤذن يتحرى أعلى المسجد وسطحه ليحصل الإسماع . » .

المحمل

من العادات أو « المراسم » المشهورة التي كانت تبرز في موسم الحج من كل عام ، في البلاد العثمانية : المحمل .

والمحمل : جمل ، ينصب عليه « هودج » ، ويزين بأنواع الزينة ، يجعلونه في مقدمة الركب ، أي قافلة الحجاج ، ويحيطونه بكل مظاهر الحفاوة والتكريم ، كأنه رمز حيّ للحج !

وربما جعلوا خلفه فرقة من الموسيقيين تضرب على آلاتهـا النحاسية وتنفخ في الأبواق وتقرع الطبول ، زيادة في التعظيم ... والتجسيم !

وهذه العادة لا خطر منهـا ، لو أنها كانت مجرد عمل من أعمـال الأفراد ، يقومون به عفواً ، ولكنهم جعلوه كالسنـة المتبعة ، أو الفريضة الشرعيـة ... وبالغوا في الاحتفال به مبالغة كبيرة ، وأقاموا له « الموظفين » المختصين بالعنـاية به ، حتى توهم العامة أن المحمل جزء من فريضة الحج ... أو مقدمة له لا يستغنى عنها !

ومن المعروف أن السلفيين وخاصة الحنابلة منهم كانوا ضد هـذه الطقوس المبتدعة ، التي لا تخلو من شيء من المظاهر الوثنية .

وقد تشدد الإمام سعود الكبير في منع المحمل العثماني من دخول مكة بأبهتـه المعهودة ، وحاشيته الموسيقية ، وحرسه المسلح ، وعدّ ذلك مخالفاً للشرع ، وربما كانت له وراء ذلك أغراض سياسية أيضاً ...

وفي عهد المغفور له الملك عبد العزيز ، حاول المصريون أيضاً تجديد مراسم المحمل ، مع أن أيام الحج على الجمال مضت وانقضت ، فوقفت الحكومة السعودية أمامهم تحول دون ذلك ، وكادت تقع بسبب المحمل فتنة كبيرة ، لولا حكمة الملك عبد العزيز ومعاونيه ، ويمكن القول ان هذه العادة قد زالت الآن ... بفضل مقاومة الحكومة السعودية لها أولاً ، وثانياً : بفضل تحول الناس عن ركوب الجمال إلى الطائرات والسيارات والبواخر .

ما كتب عن الوهّابيّة

أول كتابة ظهرت في أوروبا عن الوهابية

Deseription de L'Arabie

Par

Karsten Niebuhr

أول كتاب ظهر في الغرب ، تحدث فيه صاحبه عــن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خلال حياته ، هو كتاب « وصف جزيرة العرب » ، للرحالة الدانياركي المستشرق : « كارستك نيبوهر » ، الذي زار اليمن ثم سواحل الخليج العربي ، والبصرة ، ومدناً أخرى في العراق والشام ؛ ولكنه لم يستطع الوصول الى الدرعية ، ليحقق أملاً غالياً في لقـــاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود .. فاكتفى بنقل ما سمعه من أخبار نجد والحركة الوهابية ، وهو في البصرة .

وليست أخبار نيبوهر كثيرة ولا خطيرة ، ولكن قيمتها في أوليتها وسبقها ، وأنهـا غير بعيدة كثيراً عـــن الحقيقة ، وأدنى الى الإنصاف ممـــا كتبه بعض الشرقيين ..

وهذه هي ترجمتنـا للفقرات التي تحدث فيها نيبوهر عـن الحركة الوهابية ، وربما أشير إليها في كتب عربية أخرى ، ولكن أحداً ، فيا نعتقد ، لم يسبقنا إلى ترجمة نصها الكامل :

« كان سكان المدن والقرى في نجـد ، كلهم ، سنيين من أتباع ابن حنبـــل

- باستثناء عدد يسير من النصارى واليهود ، والشيعة ، في هجر .

ومنذ بضع سنوات، نشأت في العارض فرقة جديدة ، بل ديانة جديدة ، ستحدث مع مرور الأيام تغييرات واسعة في معتقدات العرب وأسلوب حكمهم .

ومؤسس هذه الديانة هو : « عبد الوهاب »[1] ، الذي ولد في نجد ، ودرس في شبابه علوم العرب في موطنه ، ثم عاش بعد ذلك سنوات في البصرة ، وقام برحلة الى بغداد والعجم .

ولما عاد الى نجد، دعا أبناء وطنه إلى أفكاره الدينية الجديدة ، وقد حالفه شيء من التوفيق ، اذ استطاع أن يستميل اليه عددا من شيوخ العارض . أما الجمهور ، فمن عادتهم أن يتبعوا الرؤساء ، ولذلك أصبحوا من أتباع هذا الفقيه الجديد ، تقليداً لرؤسائهم .

كان شيوخ العارض المستقلون في قتال دائم ، فلما اعتنقوا الدين ، أصبحوا بفضل عبد الوهاب أصدقاء واخوانا ،وتعاهدوا على طلب المشورة من زعيمهم الديني الجديد قبل الإقدام على أي عمل ذي بال ، كما تعاهدوا على الالتزام بأوامره.

وبهذا اختل التوازن السياسي الذي كان قائماً بين إمارات العارض الصغيرة ، لأن الشيوخ الذين كانوا قادرين على الصمود أمام جيرانهم،لم يعودوا قادرين على الوقوف أمام هذا العدد من الشيوخ المتحالفين ، وأصبحت الحروب أكثر عنفاً ، لأن كل واحد من الطرفين يعتقد أنه إنما يخوضها في سبيل الدين ، وأنه إنما يحارب ملاحدة أو كفاراً ، يريدون الاستمرار في ضلالهم !

ولما رأى الشيوخ المستقلون ، الذين لم يدينوا بالطاعة لعبد الوهاب ، أنهم عاجزون عن مقاومته ، لضعفهم وانقسامهم ، استدعوا « عرعر » ، شيخ الأحساء، لمؤازرتهم ، فهب شيخ الأحساء لنجدتهم، ولكنه لم يفعل ذلك لمجرد أنهم أبناء دينه، وإنما خاف أن يصبح أنصار الديانة الجديدة على درجة من القوة تحملهم على غزو بلاده نفسها !

---

١ - عبد الوهاب ، هو اسم والد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولكن الغربيين ألفوا تسمية الأفراد بأسماء أسرهم أو آبائهم .

« وهنا يتحدث نيبهر عن هزيمة جيش الأحساء ، ثم عن جيش نجران ، وقد استشهدنا بهذه الفقرات من كتابه في وصفنا لمعارك محمد بن سعود ، فليرجع إليها هناك . » ، ثم يقول :

لم تسعفني الفرصة في الاتصال مباشرة بأتباع عبد الوهاب ، فلا أستطيع أن أقول شيئاً موثوقاً في موضوع عقائدهم .

أما السنيون الآخرون فكانوا خصومهم ، ولذلك يحاولون عرض دياناتهم عرضاً مشوهاً ، إمّا ليبغضوا بها ، وإما ليحملوا الأجانب على الاعتقاد بأن الفرق بين الديانة الجديدة وبين الديانة القديمة غير كبير من حيث الأسس .

ومن هؤلاء الذين لا يرون فرقاً بين الديانتين : رجل من أدباء البصرة ، كان يؤكد لي أن أتباع عبد الوهاب يصلون كما يصلي سائر المحمديين ، وأن محمداً عندهم هو النبي ، وأن الفرق بينهم وبين السنيين هو أنهم لا يريدون الاعتراف بأولياء السنيين ..

ويمكننا أن نستنتج من هذه الأقوال أن عبد الوهاب انما علّمَ الناسَ عقيدةَ السنيين الصافية ، فأكبر فقهاء السنة كانوا ينكرون التوسل بمحمد أو بأي واحد من الأولياء ، لأنه لا يجوز في اعتقادهم أن يدعى غير الله .

وقال لي شيخ مكاري يؤجر جماله ، زار أهم بلدان نجد ، بل رأى الجزيرة العربية كلها ، وزعم لي انه يعرف الديانة : إن عبد الوهاب علّمَ أتباعَه أن الله وحده هو الذي يجب أن يُدعى ويُعبد كخالق ومدبر للكون ، ومنعهم أن يشركوا في الدعاء اسم محمد أو أي نبي أو ولي ، أو اسم عبد الوهاب نفسه ، لأن ذلك من الوثنية .

وأضاف محدثي : ان عبد الوهاب يرى أن محمداً والمسيح وموسى وسائر الأنبياء هم رجال عظماء وجديرون بكل اجلال ؛ ولكنه لا يعتقد بوجود كتاب ، كُتِبَ بوحي من السماء ، أو أنزل بواسطة جبرائيل [1] .

---

١ – يعني ان محمد بن عبد الوهاب لم يقل قط ان دعوته كانت وحياً أو أن كتاباً انزل اليه . والا فلا يعقل ان ينسب رجل ، مهما يبلغ به الجهل – الى محمد بن عبد الوهاب انه ما كان يعتقد بوجود كتب منزلة ..

قال نيبهر: « لا أعلم إن كنت أستطيع الوثوق بكلام هذا البدوي، لأن البدو يقولون عن أنفسهم إنهم محمديون، ولكنهم لا يعرفون محمداً ولا يفهمون القرآن. »

(أوائل الكتب الغربية عن نجد والوهابية)

إن كان المؤلفون القدامى عجزوا عن فهم الدعوة الوهابية، كما ينبغي لها ان تفهم، فمن الحق أن نعترف لهم بأنهم كانوا أقرب إلى إنصاف الشيخ وتقدير حركته، من كثير من أبناء البلاد العربية والإسلامية، في عصره وبعد عصره، وقد أثنى غير واحد من الأوربيين على الشيخ ودعوته ثناءً عظيماً، وبالغ بعضهم في أمره، فوصفه بأنه «نبي» وأراد آخرون أن يشبهوه بما عندهم، فقالوا إنه «بابا» المسلمين، وقال بعضهم إنه مصلح ديني، من طراز « لوثر » أو « كالفان »، اللذين قاما بالدعوة إلى تنقية المسيحية مما دخل عليها في العصور المتأخرة.

كان الانكليز أكثر الأوربيين عناية بأمور الجزيرة العربية الوسطى، لاتصالها بمناطق نفوذهم في الخليج الفارسي، ولكن الافرنسيين سبقوهم كثيراً إلى الكتابة عن نجد، وعن الحركة الوهابية، ففي عام (١٨٠٤) نشر « كورانسيز » في مجلة « لومونيتور » الباريسية سلسلة مقالات عن الوهابيين، ثم جمعها عام (١٨١٠) م. في كتاب أسماه « تاريخ الوهابية ».

وفي عام (١٨٠٦) أصدر « جان ريمون » كتاباً بعنوان « مذكرات عن أصل الوهابيين ».

وبعد قليل أصدر « روسو » كتاباً أسماه: « مذكرات عن الفرق الإسلامية الثلاث ».

وفي عام (١٧١٨) ألف « أوغوست دونارسيا » كتابه: « رسالة صغيرة عن العرب ومذهب الوهابيين ».

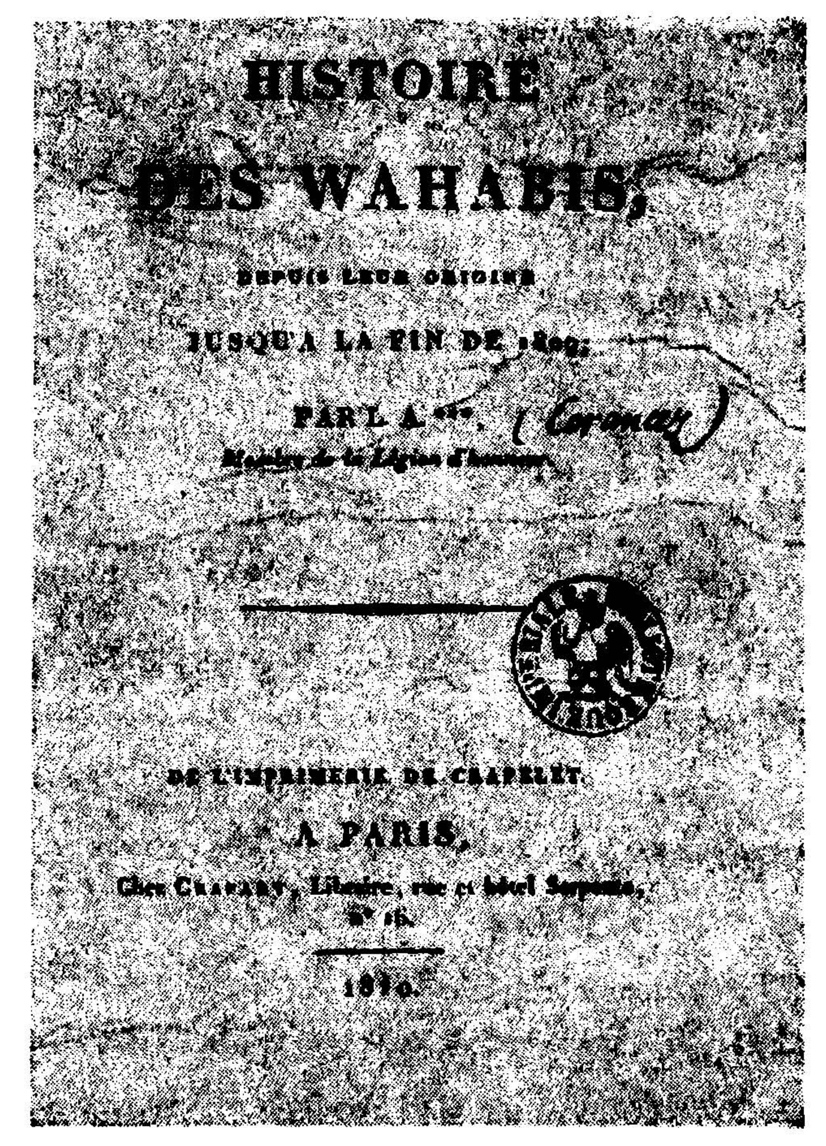
ثم أصدر « جومار » ثلاثة كتب عن نجد والعرب وهي:

١ – تاريخ الوهابيين.

٢ – رسالة عن بلاد نجد.

٣ – دراسات جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب عام ١٨٣٩ م.

أول كتاب ظهر في أوروبا عن الوهابية


HISTOIRE

DES WAHABIS,

DEPUIS LEUR ORIGINE

JUSQU'A LA FIN DE 1809;

PAR L. A. ***.

Membre de la Légion d'honneur.

DE L'IMPRIMERIE DE CRAPELET.

A PARIS,

Chez CRAPART, Libraire, rue et hôtel Serpente, N° 16.

1810.

صورة فوطوغرافية لغلاف كتاب كورانسيز

تاريخ الوهابيين

تاليف أوليفيه ده كورانسيز

أول كاتب غربي وضع كتاباً عن تاريخ نجد ، منذ ظهور الحركة الوهابية، هو

الكاتب الفرنسي : أوليفيه ده كورانسيز ، ونشر هذا الكتاب في باريس عام ١٨١٠ م. أي بعد سنوات قليلة من استيلاء الوهابيين على مكة ، فكان له دوي هائل ، وأخذ عنه المؤرخون والكتاب وأصحاب المجلات والصحف .

كان كورانسيز عضواً في البعثة العلمية التي صحبت الامبراطور نابوليون بونابرت الى مصر ، ثم أقام مدة في حلب ، قنصلاً لفرنسا فيها ، وهناك جمع مواد كتابه عن الوهابيين ، وهو الآن شبه مفقود ، ولكننا ظفرنا بنسخة منه في دار الكتب الوطنية بباريس وصورناها ، وسنقوم بترجمتها وطبعها إن شاء الله .

وحسبنا الآن ، تقديراً لأولية هذا الكتاب ، ان نترجم مقدمته الى العربية ، وسيجد قارىء كتابنا، في فصول متفرقة ، أقوالاً وأخباراً أخذناها عن كورانسيز.

قال المؤلف الفرنسي ، في مقدمة كتابه :

ان اسم الوهابيين اليوم جد معروف في أوربا ، والناس حراص على معرفة أحوالهم ، ومن هنا قيمة كتابنا وخطره .

إن هؤلاء العرب مدعوون إلى القيام بدور عظيم في التاريخ ، فاذا حققوا هذا الأمل ، فمن الخير أن يعرفهم الناس منذ اليوم ، لأن عناصر العظمة ، لكل شعب ، إنما تلتمس في أول أمره ، ومطلع فجره ...

أما إذا بقي الوهابيون منطوين على أنفسهم في جزيرة العرب – وهم اليوم سادتها – فقد فعلوا أشياء جليلة جداً ، تستوجب تخليد ذكرهم !

لقد أقمنا في حلب ثمانية أعوام ، أنفقنا خلالها خير جهدنا وأحسن وقتنا في جمع « المعلومات الصحيحة » عن نشوء السلطة الوهابية ، وتطورها ، وحالتها الحاضرة . ولعل صعوبة عملنا أفضل عذر نقدمه بين أيدي القراء عما يجدونه في كتابنا من نقص أو خطأ .

لم يكن الناس يعرفون شيئاً عن الوهابيين في أوائل هذا العصر ، إلا القليل الذي كتبه « نيبهر » عنهم ، ثم جاء استيلاؤهم على مكة ، يثير اهتمام الدنيا كلها بأمرهم .

نشرنا في أكتوبر من عام ١٨٠٤ تاريخاً موجزاً للوهابيين في جريدة «لومونيتور»

فنقلته عنها مجلات وصحف كثيرة . وهو أول تاريخ لهم يُنشر في فرنسا . وكان أكبر عون لنا في عملنا : مسيحي ماروني من أسرة « فرنجية » ، وإفرنسي يدعى « ريمون » ، كان يعمل ضابطاً للمدفعية ، في بغداد ...

ليس من غايتنا أن نتلمس مصدر الوهابية في حركات سبقتها ، فقد قيل ، مثلاً ، إنهم ورثة القرامطة ، الذين كانوا يسيطرون على البحرين ، وأقدموا على سرقة الحجر الأسود من الكعبة ؛ وقد يكون صحيحاً أن الدروز والنصيرية والمتاولة والإسماعيلية تأثروا بالقرامطة ، ولكن نسبة الوهابيين اليهم غير صحيحة إطلاقاً ، لأن القرامطة شوّهوا دين الإسلام ، وأما الوهابيون فقد نقّوا الإسلام مما أدخل عليه من تشويه وأعادوه إلى بساطته الأولى وصفائه ، فهم والقرامطة ضدان !.

لم يظهر الوهابيون إلا منذ خمسين سنة ، ولكن هذه السرعة الهائلة التي اتسمت بها فتوحاتهم ، ضمانة كبيرة لبقائهم وعظمتهم !

ان الحركة الوهابية قريبة من زمن نشأتها ، ومع ذلك لا نعرف من أخبارها إلا القليل ، لأن العرب يتقاتلون دائماً ، ثم ينسون ما صنعوه ، أو لعلهم ينسون ما كانوا يعدونه أمراً تافهاً غير جدير بالتدوين والحفظ .

وهكذا غابت عنا أوصاف المعارك الأولى الصغيرة التي خاضها الوهابيون ، والصعوبات التي وقفت في طريق سيرهم ، وقد تبقى مجهولة إلى الأبد .

التمس الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، خارج نجد ، أميراً أو « باشا » يحمي دعوته فلم يجد ضالته ، لا في دمشق ، ولا في بغداد ، ولا في البصرة ، فعاد إلى نجد ، وهنا تحقق حلمه ، فقام محمد بن سعود بحمايته ونصرة دعوته .

كان المسلمون يومئذ يمارسون أشكالاً غريبة من العبادات، بحيث لو عاد «محمد» إلى الدنيا ، لظن أن الإسلام زال منها ، ولرأى شيئاً عجيباً ... فالصلاة نفسها صارت لها « طقوس » جديدة ... وعلى القبور تقام القباب والمباني ، ويُزعم أن لأصحابها كرامات أو معجزات ... وهناك وسطاء بين الله والناس يقبلون الرشوة . ومجانين يتنقلون في البلاد بحرية ولا يجرؤ أحد على مقاومتهم ، لأنهم ، فيما

يزعمون ، من أصحاب « السر » أو أهل الحظوة ... وأما القرآن الخالد فقد فسروه تفاسير مذهلة غابت فيها حقيقته ! ...

أعاد محمد بن عبد الوهاب – وهو من « مضر » عشيرة النبي محمد– الإسلام إلى حالة يعرفها النبي ولا ينكرها .

.. ومما ساعد الوهابية على كسب الأنصار أن الناس مولعون دائماً بالجديد ، محبون للتغيير !

حرمت الوهابية كثيراً من متع الحياة ومباهجها ، فأغضبت بذلك فريقاً من الأغنياء ، ولكنها أرضت الفقراء ، لأنها قربت المسافات بينهم وبين الأغنياء ، الذين ما عادوا يستطيعون تبذير ثرواتهم على الخمور والفجور ، وغير ذلك من مظاهر الترف التي كانت تثير أعصاب الفقراء !

وكان مقدراً للوهابية أن تتوسع كثيراً، ولكن تشدد بعض رؤسائها في تطبيق أفكارهم حال دون ذلك » . – انتهت المقدمة ، وقد ترجمناها بتصرف يسير.

أخطاء كورانسيز

تورط (كورانسيز) مع شدة تحرّيه ، وحسن نيته ، في عدة أخطاء لعلها نشأت عن أكاذيب خصوم الوهابية الذين كانوا ينقلون إليه روايات باطلة كثيرة لم يستطع تمحيصها كلها ، فمن أخطائه :

١ – قوله إن الوهابيين حذفوا الشطر الثاني من الشهادة وهو : « محمد رسول الله » واكتفوا بالشطر الأول : « لا إله الا الله » .

٢ – وقوله إن الشيخ دعا إلى التمسك بالقرآن ، دون الحديث .

٣ – وقوله إن المسلمين عامة ينظرون إلى محمد كرسول ونبي ، وإن الوهابيين ينظرون اليه كرجل حكيم ليس أكثر .

٤ – وقوله إن الوهابيين يحترمون اليهود والمسيحيين أكثر من احترامهم للمسلمين المنتمين إلى المذاهب الاخرى .

٥ – وقوله إن الوهابيين يقتلون من يستعمل الدخان .

وقد تناقل المؤرخون والكتاب الغربيون أقوال (كورانسيز) ، وهي في جملتها ، تصور الشيخ محمد بن عبد الوهاب في صورة مصلح ديني ، يكافح الخرافات والبدع ، ولكنه متشدد في ذلك !

روسو

أشهر المذاهب الإسلامية الثلاثة

MÉMOIRE

SUR

LES TROIS PLUS FAMEUSES SECTES

DU MUSULMANISME,

LES WAHABIS, LES NOSAÏRIS ET LES ISMAÉLIS;

PAR M. R*** (Rousseau)

Correspondant de l'Institut Royal, et Associé de l'Académie des Sciences, Belles-Lettres et Arts de Marseille.



Les Prophéties et les sectes religieuses ont été plus communes chez les orientaux à cause de l'enthousiasme.

VOLTAIRE. *Essai sur les mœurs et l'esprit des nations.*

A PARIS,

Chez A. NEPVEU, libraire, passage des Panoramas, N.° 26.

Et A MARSEILLE,

Chez MASVERT, libraire, sur le Port.

1818.

صورة فوطوغرافية لكتاب روسو

ومن أوائل الكتب الفرنسية ، التي تحدثت عن الوهابية ، وقارنتها بالاسماعيلية والنصيرية لتظهر اختلافها عنهما ، خلافاً لمزاعم بعض المؤلفين العثمانيين ، كتاب ألفه

الكاتب الفرنسي روسو ونشر عام ١٨١٨ م . وهذا شيء مما كتبه عن الوهابية :

« إن نظرية محمد بن عبد الوهاب بسيطة جداً، فهو يدعو إلى عبادة إله واحد، ويقول إن الله هو مصدر ما يصيب الناس من خير ومن شر ، وإن أحداً لا يستطيع أن يتوسط بين العبد وبين خالقه ليغير القضاء والقدر ، وإن الموتى ليسوا أكثر من تراب ، فهم لا يضرون ولا ينفعون ، وتوجيه الأدعية إليهم والبناء على قبورهم عبثٌ بل شرك ، وقد بدأ النصارى بمثل هذا وانتهوا إلى جعل المسيح إلها يعبدونه .

... أحلّت الوهابية أتباعها من رابطة الولاء نحو الخليفة العثماني .

وهي تحرم الخمر والدخان ، ولكنها تحل القهوة وتتساهل في أمر الملابس ، وأما الشعر ، وخاصة اللحى ، فإنهم يقصونه بالمقصات ، وهكذا كان يفعل اليهود المتعصبون ، المتمسكون بعاداتهم القديمة .

وهم لا يغسلون أيديهم بعد الطعام ، حتى يذكر الإنسان دائماً نعمة الله عليه !

ويقال إن الوهابية تتساهل مع المسيحيين أكثر من تساهلها مع المسلمين ، وهذا غير صحيح !

فقد علمنا أن رجالاً من باريس ، أرادوا العودة إلى بلادهم بطريق فارس ، فاستولت على سفينتهم عشيرة « القواسم » ، ولم يستطيعوا إنقاذ حياتهم إلا بالدخول في الوهابية وقبول « الختان » ...

ولما هاجم الانكليز القواسم ، استنجد هؤلاء بالباريسيين ، فاستعملوا الأسلحة النارية ضد الانكليز ، وكان ذلك وسيلة لإرضاء ضمائرهم بمقاتلة أعداء وطنهم أكثر منه وسيلة لاسترضاء القواسم .

وأصبح الوهابيون أكثر تسامحاً مع المسيحيين ، بعد أن اكتشف سعود الكبير أن أهل الكتاب غير ملزمين بتغيير دينهم ، وإنما يجب عليهم دفع الجزية .. وفي هذا له كسب مادي لم يكن ليزهد فيه ! »

ميشو

تكلم « ميشو » عن الوهـــابية في كتابه : La Biographie Universelle
« التراجم الكونيـــة » . وكان مصدره الأول ، فيما نعتقد ، كورانسيز ، وهو
يعرّف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بأنه « نبي » ويزعم أن شعار الوهابيين هو :
« العقيدة أو الموت » ، وإنهم كانوا يخيرون المغلوبين بين القتل ، وبين متابعتهم !
ثم يلخص عقيدتهم قائلاً :

« إن عقيدة الشيخ محمد هي الإسلام في صفائه الأول . وهو يقبل القرآن ،
ولكنه يرفض الأحاديث ...

وهو ينظر إلى المسيح ومحمد والأنبياء كحكماء ولا يقوم بأي نوع من العبادة
نحوهم !

أما الشهادتان ، فيأخذ منهـــما القسم الأول ، وهو : « لا إله إلا الله » ويترك
القسم الثاني ، وهو : « محمد رسول الله » !

ويقول : لا حج إلا إلى الكعبة ! « التي كان العرب يقدسونهـــا منذ أقدم
الأزمان »

وقد منع الجنائز وما يخرجونه فيهـا ، وأمر بهدم الأبنية والقباب المقـامة على
قبور الشيوخ والأولياء والصالحين .

مانجان

يعد المؤرخ الافرنسي « مانجان » في نظرنا ، أفضل المؤرخين الغربيين القدامى الذين كتبوا عن نجد والوهابية ، وفي كتابه : « تاريخ مصر » فصل خاص بعنوان : « تاريخ الوهابية » وملحق في جغرافية نجد ؛ ومزية هذا المؤرخ شدة تحريه للحقائق و « موضوعيته » ، ومما ساعده على جمع « المعلومات الصحيحة » عن نجد أنه أقام في مصر مدة اجتمع فيها بعدد من أفراد أسرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمراء السعوديين ، الذين كانوا يعيشون هناك منفيين ، ولذلك نقلنا عنه كثيراً في هذا الكتاب .

وهذا تلخيص موجز لما كتبه عن دعوة الشيخ :

« كانت تعاليم هذا المصلح مؤسسة على مبادىء أخلاقية سليمة ، تدعو مواطنيه إلى عبادة الله ، وحده ، والتوجه اليه وحده بالسؤال والدعاء .

وكان يأمر بإقامة الصلوات خمس مرات في النهار ، وصوم رمضان ، والحج إلى مكة ، والزكاة .

وكان يحرم المشروبات الكحولية ، والزنا ، والميسر ، والربا ، والسحر .

وكان ينهى عن التدخين ، ولبس الحرير ، والذهب والمجوهرات ـ إلا النساء ـ كما ينهى عن إقامة القباب على القبور ، لما يخشى بسببها من الشرك ، لأن الناس كانوا يأتون إلى هذه القباب التي يعظمونها ، ليطلبوا من أصحابها الشفاعة !

وكل شيء دعا اليه الشيخ ، هو من الدين ، أي مما أمر به الله ورسوله ، ولكن المسلمين نسوه أو تناسوه وأهملوه ، فقام الشيخ بدعوتهم اليه وحملهم عليه أعظم قيام . »

بركارت

« مواد لتاريخ الوهابيين »

ألـّف المستشرق الكبير ، بركارت ، كتاباً أسماه : «مواد لتاريخ الوهابيين» ، قال فيه :

« يمكن وصف ديانة الوهابية بأنها ديانة مطهرة « بوريتان » ، وحكومتهم بأنها حكومة « بدوية » ، يتولى زعيمها السلطة السياسية والدينية معاً ، على نحو ما كان يفعل خلفاء محمد (ص) ...

*

لم تكن المبادىء التي جاء بها ابن عبد الوهاب مبادىء دين جديد ، وإنما كانت جهوده منصرفة إلى اصلاح ما فسد من معتقدات المسلمين ، وإلى إشاعة الدين بين البدو ، الذين كانوا مسلمين بالاسم ولكنهم ما كانوا يعرفون الديانة ، ولا كانوا يعملون بأوامرها .

وكان ابن عبد الوهاب – كسائر المصلحين – « غير مفهوم » ، لا من أعدائه ، ولا من أصدقائه .

أما أعداؤه فقالوا إنه صـــاحب دعوة جديدة ، لعتبر الأتراك ملحدين ، ولا تكرم النبي كما يكرمونه هم ، ولذلك عادوه وبدّعوه ، بل كفروه ..

ومما قوى الأعداء في شبهاتهم ، دسائس الشريف غالب ، وتحذيرات الباشوات..

فالشريف غالب كان حريصاً على أن تبقى بين الترك والوهابيين هوة ، وكان أخشى ما يخشاه أن يتفاوض الفريقان ويتفاهما على حسابه ...

والباشاوات كانوا يكرهون الحج ، لكثرة نفقاته ومتاعبه ، فكانوا يبالغون في وصف أعمال الوهابيين ومظالمهم ليصرفوا الناس عن الحج .

... والحق أن أعمال البدو من الوهابيين لم تكن مشجعة على الثناء عليهم ... وصحيح أنهم تعلموا شيئاً من الدين بفضل الدعوة الوهابية ، ولكنه شيء قليل جداً لم يغير عاداتهم وعقليتهم الأولى ... وهؤلاء البدو الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام من قبل ، لا يستغرب منهم أن يظنوا أن الوهابية ديانة جديدة ، اختصوا بها ... وان غيرهم ليسوا من أصحاب الدين الصحيح .

لقد كان رئيسهم يغذي فيهم روح التعصب ، بحيث لا يستطيعون التميز بين الأمور التافهة التي ليس من شأنها أن تحمل على تكفير الناس، وبين الأمور الخطيرة.

اجتمع عدد من أهل الشام والمصريين خلال الحج بعدد من الوهابيين المتعلمين ، وتفاهموا ... واقتنع الفريقان بأنهم ، على ما بينهم من اختلافات ، مسلمون ولا يجوز أن يكفر بعضهم بعضاً ... ولكن أحداً ما كان يجرؤ على إعلان هذه الحقيقة ، بعد أن تعطل الحج منذ عام ١٨٠٣ واستحكم العداء .

وبسبب ذلك رأينا « روسو » ، في كتابين له عن الوهابية كتبها في بغداد وحلب حوالي سنة « ١٨٠٨ » يقول : إن الوهابية ديانة جديدة ، وانها أبطلت الحج إلى مكة ...

ويكفي أن يرجع الانسان الى كتب الوهابيين حتى يعرف أنهم مسلمون سنيون !

لقد ظن « سعود » ان الناس في مكة لا يعرفون الإسلام ، فراح يوزع عليهم رسالة تلخص أركان الإسلام وأهم أوامره ونواهيه ، ثم بدا له أن يخطب في الناس ويدرسهم ما جاء في رسالته ، وكانت دهشته عظيمة حين رأى أهل مكة يعرفون كل شيء قاله لهم ... ولذلك عاد فأمر بالكف عن توزيع رسالته !

إن الوهابيين لا يختلفون عن بقية المسلمين الا في اشياء « ثانوية » ، لانهم

متفقون معهم على أن دستورهم الأساسي هو القرآن الكريم والسنة النبوية .

ولكن الوهابيين يأخذون على الأتراك تعظيمهم للنبي بشكل يقرب من العبادة الشخصية ، وتعظيمهم ، على هذه الصورة أيضاً ، الأولياء والصالحين .

يزعم الاتراك أن الله يقبل من محمد شفاعته .. في الدنيا وهو ميت ، لأنه حي في قبره .. ، وهذا شيء لا يوافقهم عليه الوهابيون ،

ثم إن الاتراك يدعون النبي ويتوجهون الى الله ... وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون عليهم .

.. وفي كل مدينة تركية قبر لولي أو رجل صالح تقام عليه المباني وتقدم إليه النذور .. ويتوسل به ، وهذا أيضاً مما ينكره الوهابيون بشدة .

إن الوهابيين يهدمون القباب حيث وجدوها ... وهذه طريقة تزيد في التعصب ، لأن هذا العمل يحمل الجهلاء على الظن بأنهم يختلفون تماماً عن غيرهم ، وأن فرق ما بينهم وما بين غيرهم .. هو تحريم هذه القباب ، وكأن الإسلام يتلخص كله في ذلك !..

كان تهديم القباب يتبع دائماً انتصارات الوهابيين،وهم يجدون في عملهم هذا لذة كبيرة ، ويقولون : رحم الله من هدم القباب ، ولا رحم من بناها !

يأخذ الوهابيون على الاتراك إهمالهم الزكاة ، والجهاد ، وإقبالهم على المحرمات ، كالخمر والزنا واللهو .. حتى أن رؤساء الترك كانوا يأتون في البلاد المقدسة نفسها ضروباً من السفه والفسق لا توصف .. وهذا مما جعل الوهابيين يزدادون إيماناً بأنهم وحدهم على حق وأن غيرهم على باطل !

ان احصاء الفوارق بين الوهابيين وبين الترك هو إحصاء لجميع البدع والتشويهات التي ادخلت على الدين الإسلامي ، منذ عهد الرسول ، وأقرها الترك العثمانيون وارتضوها .

وليست فضيلة الوهابيين الكبرى عندي أنهم اصلحوا ما فسد من المعتقدات ، ولكنها في حملهم الناس على العمل بالدين ، لأن الدين وحده مهما يصلح ويطهر ، ما كان ليغير سلوكهم في الحياة ، لولا القوة التي تحملهم على ذلك !

كتابات « خصوم الوهابية »

ألّف خصوم الوهابية ، في حياة الشيخ وبعد مماته ، كتباً ورسائل كثيرة في الرد عليها ، والتشنيع بصاحبها ، وقد قرأنا ما وصلت اليه يدنا من هذه الكتابات ، ونقول في صراحة وصدق : إنها تافهة جداً ، وهي إلى السباب أقرب منها إلى المناظرة العلمية ، وقد أحسن المؤرخ التركي ، جودت باشا ، وهو من خصوم الوهابية ، بقوله إن الرد على الوهابيين ، يستوجب من الذين يتصدون له ثقافة واسعة ومعرفة بأحوال البلاد العربية ، الدينية والاجتماعية والسياسية ، ووقوفاً على علوم الدين ، واطلاعاً واسعاً على الحركات الفلسفية ، ومقدرة على الجدل والإقناع ، وأسلوباً بارعاً في الكتابة ، وكل أولئك مفقود عند « العلماء » الذين قاموا يردون على الوهابية ردوداً مشحونة بالسخف والمراء ، ويقدمون اليها بأيديهم الوسيلة إلى السخر منهم ومحاربتهم بسلاحهم !

على اننا مدعوون ، ونحن نؤرخ للوهابية ، إلى الكلام على كتابات خصومها ، حتى لا يكون بحثنا منقوصاً من بعض جوانبه .

الكتب المخطوطة والنادرة في الرد على الوهابية

هناك كتب مخطوطة كثيرة ، لم تطبع ، وكتب أخرى نادرة ، منها :

١ – حجة فصل الخطاب من كتاب رب الارباب وحديث رسول الملك الوهاب وكلام أولي الألباب في إبطال مذهب محمد بن عبد الوهاب – للشيخ

سليمان بن عبد الوهاب .

٢ - تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين - للشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن عفالق.

٣ - المشكاة المضيئة - لعلي بن عبدالله البغدادي .

وهذه الكتب الثلاثة مخطوطة ، وهي محفوظة في مكتبة برلين ولم نطلع عليها .
وقد ذكر الشيخ سليمان بن سحمان في كتابه « كشف غياهب الظلام » كتابين ، لم نطلع على أصليها وهما :

٤ - الصواعق والرعود - لعبدالله بن داود .

٥ - سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد - للشيخ عبدالله بن عبد اللطيف .

ومن أوائل الذين ردوا على الوهابية الشيخ أحمد القباني من العراق ، وكانوا يسمونه : ابن ملاعبادي . وله ثلاث رسائل ، نشرها في حياة الشيخ ، وهي : [1]

٦ - « فصل الخطاب في رد ضلالات ابن عبد الوهاب »

٧ - « كشف الشبهات عن خالق الارض والسموات » .

٨ - « كشف الحجاب عن ضلالات ابن عبد الوهاب » .

وهذه الرسالة الأخيرة تكاد تكون قاصرة على التعريف برسالة « سليمان بن سحيم » ومطالبة كل من وقعت في يده أن ينشرها بين الناس !
وقد أثبت ابن غنام في تاريخه نص هذه الرسالة .

٩ - وللشيخ سليمان بن عبد الوهاب كتاب طبع منذ ثمانين سنة في العراق وعنوانه : « الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية » .

---

١ - قال الشيخ ، في رسالته الى احمد بن ابراهيم : « ... وايضاً جاءنا بعض المجلد الذي صنفه القباني ، واستكتبه اهل الحسا واهل نجد ، وفيه نقل الاجماع على تحسين قبة الكواز وامثالها ، وعبادتها ... » الخ ... « انظر صفحة ٣٨٨ - ٣٨٩ من تاريخ نجد المعدل »

كتاب « الصواعق الآلهية في الرد على الوهابية »

يعد هذا الكتاب من أقل الكتب التي ألفها خصوم الشيخ فجوراً ومغالطة ، ولولا أنه قال عن الشيخ محمد إنه لا يملك الاجتهاد وليس فيه خصلة واحدة من خصاله لكان كتابه بريئاً من هجر القول .

ومما جاء في هذا الكتاب :

« بني الإسلام على خمس » ...

وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، تدخل الكافر في الإسلام..

وأنتم الآن تكفرون من قال لا إله الا الله ومحمد رسول الله. وأقام الصلاة وآتى الزكاة وصيام رمضان وحج البيت مؤمناً بالله وملائكته و كتبه ورسله ، ملتزماً لجميع شعائر الاسلام ، وتجعلونهم كفاراً وبلادهم بلاد حرب .

فنحن نسألكم : من إمامكم في ذلك ، ومن أخذتم هذا المذهب عنه ؟ فإن قلتم : كفرناهم لأنهم مشركون بالله ..

.. قلنا : أهل العلم قالوا في تفسير أشرك بالله ، أي ادعى أن لله شريكا ، كقول المشركين: هؤلاء شركاؤنا !

.. إن الشرك فيه كبيرة وصغيرة ، وأكبر وأصغر .. وفيه ما يخرج من الإسلام وفيه ما لا يخرج من الإسلام ..

ولكن من أين لكم أن المسلم الذي يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، إذا دعا غائباً أو ميتاً أو نذر له .. أو تمسح بقبره .. أن هذا هو الشرك الاكبر .. من فعله .. حل ماله ودمه ؟

.. إن أهل العلم ذكروا في كل مذهب من المذاهب الأقوال والأفعال التي يكون المسلم بها مرتداً ، ولم يقولوا من نذر لغير الله فهو مرتد .. ولم يقولوا من تمسح بالقبور .. فهو مرتد ..

ولكنكم أخذتم هذا بمفاهيمكم .. .. وقلتم من فعل هذه الأفاعيل فهو كافر ومن لم يكفره فهو كافر ! »

ثم يتكلم الشيخ سليمان عن النذر لقبر صحابي ، فيقول إن « ابن تيمية » عده نذر معصية ، لا يجوز الوفاء بــه ، والواجب عليه أن يتصدق، ولو كان صاحب النذر يكفر ، لم يأمره بالصدقة وانما كان يأمره بتجديد إسلامه . وكذلك ابن القيم ذكر النذر لله في الشرك الأصغر .

ويمضي الشيخ سليمان بعد ذلك قائلا :

ذكر عن ابن تيمية انه قال (في الإقناع) من جعل بينه وبين الله وسائط ، يدعوهم ويسألهم ويتوكل عليهم كفر إجماعاً ..

.. أنظر الى لفظ هذه العبارة وهو قوله : « يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم ، كيف جاء بواو العطف ، وقرن بين الدعاء والتوكل والسؤال ، فان الدعاء في لغة العرب هو العبادة المطلقة، والتوكل عمل القلب، والسؤال هو الطلب الذي تسمونه الآن الدعاء .. وهو لم يقل هنا : «سألهم».. بل جمع بين الدعاء والتوكل والسؤال. و .. أنتم تكفرون بالسؤال وحده » !

ويتحدث الشيخ سليمان بعد ذلك عن أهل البدع الموافقين على أصل الإسلام ، ولكنهم مختلفون في بعض الأمور ، كالخوارج والرافضة والمعتزلة ، فيلخص آراء « ابن تيمية » فيهم على النحو الآتي :

هؤلاء أقسام :

أحدها الجـــاهل المقلد الذي لا بصيرة له ، فهو لا يكفر ولا يفسق ولا ترد شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلم الهدى ، وحكمه حكم المستضعفين من الرجـال والنساء والولدان .

والقسم الثاني : متمكن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحق ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته ولذاته ومعاشه ، فهذا مفرط مستحق للوعيد ...

القسم الثالث: أن يسال ويتبين الهدى ولكن يتركه، تعصباً أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته أن يكون فاسقاً ، وتكفيره محل اجتهاد .

كتاب علوي الحداد

وضع « علوي الحداد » ، كتابا في ذم الوهابية ، اعتمد فيه على « عبد الله بن داود الحنبلي البغدادي » في كتابه : «الصواعق والرعود» . ولم نطالع هذا الكتاب ، ولكننا قرأنا نتفاً منه في كتاب ابن سحمان المسمى : « الألسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد . » .

ينسب ابن داود الى الشيخ أنه كان يضمر دعوى النبوة ، وتظهر عليه قرائنها بلسان الحال ، لا بلسان المقال ، حتى لا تنفر عنه الناس .

قال : « ويشهد لذلك ما ذكره العلماء من أن ابن عبد الوهاب كان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذباً ، كمسيلمة وسجاح والأسود العنسي وطليحة الأسدي وأضرابهم .

.. وأن أباه عبد الوهاب كان رجلاً صالحاً ، وأنه تفرس في ولده الشقاوة من حين صباه ، وكان يبغضه بغضاً شديداً ، ويقول : سيظهر منه فساد عظيم !

ويضيف علوي إلى ذلك ، أن الشيخ كان يتنقص النبي (ص) ، بعبارات مختلفة منها : انه طارش ..

.. ومنها قوله : إني نظرت في قصة الحديبية ، فوجدت فيها كذا وكذا وكذا .. وكان بعض أتباعه يقول : عصاي خير من محمد ، لأنها ينتفع بها ، بقتل الحية ونحوها ، ومحمد قد مات ، ولم يبق فيه نفع أصلاً .

وإذا أراد رجل أن يدخل دينه ، يقول له :

« أشهد على نفسك أنك كنت كافراً واشهد على والديك أنهما ماتا كافرين واشهد على العالم الفلاني والفلاني .. أنهم كفار وهكذا .. فإن شهد بذلك قبله ، وإلا قتله .. »

« الأقوال المرضية في الرد على الوهابية »

وضع الشيخ محمد عطا الكسم ، رسالة سماها : « الأقوال المرضية في الرد على

الوهابية » ، طبعت في مصر عام ١٩٠١ هـ. وقد قرأناها فوجدناها تافهة جـــداً ، ولعل صاحبها إنما كتبها في أول شبابه ، وما نظنه إلا أنكرها في كهولته ، وهـذا بعض ما جاء فيها :

« أخبرني بعض الاخوان انـه قد اجتمع برجل من الوهابية ، يوسوس لاهل السنة المحمدية، بتحريم التوسل بخير البرية،عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التحية »..

.. « ولكن من فرط المحبة لهـــذا المحبوب ، الذي هو صفوة علام الغيوب ، الآخذ باليد وقت الشدائد والخطوب ، انعطف القلم قبل الشروع بالمقصود .. » .

وقد عـــدد مؤلف الرسالة أحاديث مختلفة تدل في رأيه على جواز التوسل ، كما استشهد بالآية الكريمة التالية :

« ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول ، لوجدوا الله توابا رحيما » .

ثم قال : إن التوسل بالنبي جائز في حياته وفي مماته ، لأنه حي في قبره » [١] .

كشف غياهب الظلام
عن أوهام جلاء الاوهام

وهي رسالة يرد فيها ابن سحمان على أقوال أحمد باشا العظمي عن الوهابية ، ولم نقف على أصل كتاب العظمي ، ومما نقله ابن سحمان عنه قوله :

« كان الناس في اخطباط وتردد من حقيقة مذهب الوهابية ومقولاتهم بسبب ما كانوا يتسترون به من مظاهر التوحيد وادعاء التمسك بالكتاب والسنة حتى طغوا وبغوا وتغلبوا على الحجاز ، وناظرهم العلماء فكشف الله الستر عنهم وسلط عليهم إبراهيم باشا فكاد يفنيهم ويقطع دابرهم ، لكن لله إرادة في بقاء جرثومة من هذه الطائفة في بلاد نجد . وقد تصدى لتحرير مذهبهم وتقرير مقولاتهم والرد عليهم جمهور من علماء الحجاز ، منهم أحمد بن زين ، الملقب بدحلان » ...

---

١ - رد الشيخ سليمان بن سحمان على الكسم برسالة اسماها « الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية » .

الفجر الصادق في الرد على منكري التوسل والكرامات والخوارق

وضع الشاعر العراقي جميل صدقي الزهاوي ، كتاباً أسماه : « الفجر الصادق في الرد على مفكري التوسل والكرامات والخوارق» طبع في القاهرة (١٣٢٣هـ.)

وقد رد عليه ابن سحمان رداً موفقاً في كتابه المسمى : « الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق » .

.. ومما قاله الزهاوي :

« الوهابية فرقة منسوبة الى محمد بن عبد الوهاب ، وابتداء ظهور محمد بن عبد الوهاب كان سنة ١١٤٣ هـ. وإنما اشتهر أمره بعد الخمسين ، فأظهر عقيدته الزائغة في نجد ، وساعده على إظهارها محمد بن سعود، أمير الدرعية، بلاد مسيلمة الكذاب، مجبراً أهلها على متابعة ابن عبد الوهاب هذا ، فتابعوه ، وما زال يتخدع له في هذا الأمر حي بعد حي من أحياء العرب حتى عمت فتنته وكبرت شهرته واستفحل أمره فخافه البادية ، وكان يقول للناس : ما أدعوكم إلا إلى التوحيد وترك الشرك بالله تعالى في عبادته .

وكانوا يمشون خلفه حيثما مشى ، حتى اتسع له الملك » .

جودت باشا

يعد « جودت باشا » في مقدمة المؤرخين الاتراك ، وكان من كبار الموظفين ، وله اطلاع واسع على الوثائق والتقارير والفرمانات والرسائل السياسية ، المتصلة بتاريخ نجد ، ولكنه لم يسلم من التعصب والحقد ، فأساء الى عمله ، تمشياً منه مع سياسة حكومته، ومع هذا لا يخلو كتابه من كلمات حق ، وأخبار صدق .

طبع كتابه في استانبول عام « ١٢٩٢ هـ » ، ولقي رواجا كبيرا ، واخذ عنه كثير من المؤرخين في الشرق والغرب ، ومما قاله :

« أساس العقيدة الوهابية التوجه الى الله مباشرة ، فلا يجوز التوسل اليه بأحد غيره ، ولا دعاء احد ، ولا الاستغاثة بأحد ، والنذر للاولياء وطلب الشفاعة منهم،

هما عند مؤسس الوهابية ، من الشرك .

وبما أن الناس كلهم كانوا يفعلون ذلك ، فهم في نظره مشركون ، كلهم .

كان أهل نجد ، منذ ستمائة سنة ، في جهل وضلال لا يعرفون من الاسلام سوى اسمه ، ولما دعاهم الشيخ محمد الى مذهبه قبلوه ، لانهم لم يكن لهم دين يتمسكون به ، ولم يعرفوا ان مذهبه يخالف المذهب الحنبلي الذي ينتسبون اليه ، شكلاً ، ومما رغبهم في المذهب الجديد أن صاحبه أحلّ لهم دم المسلمين وما لهم ، وكانوا قوما يتعشقون الغزو والسلب ، فخرجوا يريدون ، في الظاهر ، احياء دين الله ، وهم يريدون ، في الحقيقة ، عرض الحياة الدنيا .

أخذ الشيخ مذهبه عن ابن تيمية ، وابن القيم ، وكان هذان الشيخان من غلاة الحنابلة ، وقد اسرفا في الانكار على الناس حتى اضطرت الدولة الى حبسهما .

ومما قاله ابن تيمية في تبرير تشدده في مسألة البناء على القبور والنذور لها وطلب الشفاعة من أصحابها ، ان الانبياء والاولياء لم يعبدهم احد في حياتهم ، ولكنهم عبدوهم بعد موتهم ، بسبب هذه القبور التي يعكف عليها اتباعهم ، ولذلك وجب على المؤمنين إزالتها ، حتى لا تكون وسيلة الى الشرك .

وكان ابن تيمية يقول : خير لمن ينذر الطعام للقبور ، ان يتصدق به على الفقراء ، وخير لمن يرسل قنديلا الى الروضة ان يوزع ثمنه على الفقراء الذين يعيشون في جوار الروضة .

وخلاصة القول ان ابن تيمية ابتعد بآرائه الشاذة عن جمهور المسلمين ! » .

أيوب صبري

ومن حمل على الوهابية من مؤلفي الأتراك القدامى : ايوب صبري ، مؤلف « مرآة الحرمين » فقد وضع كتيباً اسماه « تاريخ الوهابية » طبع عام ١٢٩٦ هـ. في استانبول ، ملأه بالكذب والافتراء ، وبدأه بقوله : ان اصول الوهابيين ترجع الى القرامطة ، الذين كانوا يقولون ، فيما يزعم : « الصلاة هي ان تطيع الامام المعصوم ، والزكاة ان تؤدي خمس ما لك اليه .

وكانوا يقولون في شهادتهم : اشهد ان محمد بن الحنفية رسول الله » .

وأعظم ما يأخذه هذا المؤرخ السخيف على الوهابية محاربتها لكتاب « دلائل الخيرات » .

فتــــأمل !..

كتب مختلفة

نشرت كتب كثيرة ، غير التي ذكرناها ، في انتقاد الوهابية ، ونحن إنما أشرنا إلى عدد منها ، لقدمه أو شهرته ، وهناك رسائل كثيرة تافهة ، لا تستحق حتى الإشارة اليها .

وصف الشيخ وعظمته

يقول المؤرخ الفرنسي مانجان :

« كان الشيخ يحسن فن الاقناع، وكان يأسر القلوب بخلابة بيانه وحلاوة لسانه، وكان صابراً محتسباً ، يثق بالله تعالى فلا يهن ولا يجزع قط .

وكان سياسياً من الطراز الأول ، ولولا ذلك لانهارت دعوته وزالت دولته » .

ومع كل كماله الخلقي ، يقول الشيخ عن نفسه في بعض رسائله : وأنا امرؤ فيّ بعض الحدّة ..

وهي حدة لا تبطل حقاً ولا تثبت باطلاً ، ولا تخرج بصاحبها عن الجادة .

جمال في الجسم وكمال في العقل

ويقول ندرة مطران ، رواية عن الجريجيري :

« كان الشيخ قوي البنية ، جميل المنظر ، شجاعاً ، صبوراً على الشدائد ، له فكر نفاذ ، يحسن الكلام ويحسن الاصغاء .

وكانت له قدرة عجيبة على استيعاب الأمور ، وتجربة مستنيرة يستعين بها على حل المعضلات » .

فكر ، وخلق ، وعزم

ويقول بلغريف :

« كان ينبغي لمن يتصدى لتطهير الدين من البدع التي أدخلت عليه ، خـلال عصور طويلة جداً ، أن يكون صاحب فكر نيّر ، وخلق خيّر ، وعلم واسع ، وعزم كالحديد ..

وكان محمد بن عبد الوهاب يملك كل أولئك » .

فضل الشيخ وعظمته

ويقول محب الدين الخطيب :

« كان رجلاً عظيماً ، لأنه ثبت في جهاده الى ان لقي ربـه ، فحوّل الله تلك الأوطان العربية على يده وبطريقته من أخلاق الجاهلية وأطوارها إلى أمـة تقيم الصلاة ساعة الدعوة اليها ، وتؤتي الزكاة عند استحقاقها ، ولا يشهد رمضان فيها ما يشاهد في بلاد أخرى من الفضائح ، ويحجون بقلوب لا متسع فيها لغير الايمان بالله ، وكل رجل منهم عنده كفنه يحمله مع سلاحه إذا ناداه الإمام للجهاد .

ان تحويل هذه الأمة مما كانت عليه إلى ما صارت اليه ليس من الأمور السهلة ، وأنا كلما تصورت في ذهني عظمة ابن عبد الوهـاب يتضاءل في نظري كثير من الشخصيات .. »

في ابن بشر

يقول ابن بشر :

« كان الشيخ .. كثير الذكر لله ، قل مـا يفتر لسانه من قول : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا اله الا الله ، والله الأكبر .

وكان اذا جلس الناس ينتظرونه ، يعلمون اقباله اليهم قبل أن يروه ، من كثرة لهجه بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير .

وكان عطاؤه عطاء من وثق بالله ، لا يخشى الفقر ، بحيث أنه كان يهب الزكاة والغنيمة في موضع واحد ، لا يقوم ومعه منها شيء، ويتحمل الدين الكثير لاضافة وسائله والوافدين عليه .

وعليه الهيبة العظيمة التي ما سمعنا بها اتفقت لغيره من العلماء والرؤساء وغيرهم، وهذا شيء وضعه الله في القلوب ، والا فما علمنا أحدا ألين ولا أخفض جنابا لطالب علم أو سائل أو ذي حاجة أو مقتبس فائدة .

وكان له مجالس عديدة في التدريس كل يوم وكل وقت ، في التوحيد والتفسير والفقه وغيرها » .

في ابن غنام

ويقول ابن غنام :

« .. كانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة ..

لا يزال القرآن سميره في دجى الظلام ، ودأبه أحياء غالب الليل بالقيام .

.. اليه بيت المال يجبى ويدفع .. من جميع بلدان المسلمين ، ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية، وكان عن ذلك المال متكففا .. ولا يأكل منه الا بالمعروف ..

وكان سمحا جوادا كريما .. وكان لا يرد السؤال ، اما أثاب عاجلا أو بعد حال ..

وتوفي رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهما ، فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم، بل كان عليه دين كثير ، فأوفى الله عنه الجليل والحقير . »

مهفة الشيخ .. ودرة عمر

ويقال ان الشيخ كان يحمل مهفة في يده ، أتى على ذكرها الشيخ محمد بن

أحمد الحفظي ، في قصيدة يثني فيها على الشيخ ، قال :

« دعـا الى الله وبالتهليله ... يصرخ بين أظهر القبيلة

مستضعفا ومــاله مناصر ... ولا له معاون مؤازر

في ذلة وقــلة وفي يده ... مهفة تغنيه عــن مهنده

قــد أذكرتني درة لعمر ... وضرب موسى بعصاه الحجر»

كتب الشيخ ورسائله وأجوبته وخطبه

أول كتاب ألفه الشيخ ، وكان « نقطة الانطلاق » أو « المنهاج » لحركته ، هو كتاب صغير ، يكاد يكون « رؤوس أقلام » ، أسماه : « كتاب التوحيد » .

ثم ألف الشيخ كتباً غيره .

ولكن الشيخ لم يغير حالة نجد بكتاب التوحيد، ولا بكتاب آخر من تأليفه، وإنما غيّرها بدعوته الموصولة الى التوحيد ونهيه عن الشرك ومكافحته للمنكرات ، وقيامه في ذلك قياماً عظيماً .

قد يقال إن « نظرية » التوحيد ، كما قررها الشيخ ، لا تختلف عن « نظرية » التوحيد في ابن تيمية ، وإن الشيخ لو لم يضع كتاب التوحيد واكتفى بالدفاع عن أفكار ابن تيمية في رسائله وأحاديثه وأعماله ، لما غيّر ذلك شيئاً كثيراً في انتشار حركته وأثرها في الناس ..

وربما كان هذا القول غير بعيد عن الحق ، لأن عظمة الشيخ ليست في كتبه وحدها ، ولكنها في شخصيته وأعماله فقد كان زعيماً ومصلحا ومجاهدا ومحامياً عن الحق ، وقبل كل شيء : داعياً الى الله ، فمن قال إن كتبه لا تمثل جهداً علمياً أو فنياً كبيراً ، لا يستطيع أن ينتقص من قدره ، مع أن الكتب لا تقدر قيمها بحجمها ووزنها !..

لم يكتفِ الشيخ بتأليف الكتب – وسنذكر فيما بعد أسماء جملة من كتبه –

ولكنه كان يكتب الرسائل ويلقي الخطب ويعقـد المجالس ويتحدث للناس في العقيدة والفقه والسياسة والادارة وأحوال المجتمع ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عـن المنكر ، ويعنى بالوفود وطلاب العلم وحاجات المجاهدين ، ويكاتب البلاد القريبة والبعيدة ، الى غير ذلك من شؤون الحياة العامة التي تشغل أكثر وقته ، وزعيم تحف به المسائل « والمشاكل » من كل جهة ، لا يجـد متسعاً من الوقت لتأليف الكتب المستفيضة ، لذلك كانت رسائله أكثر من كتبه ، وأحاديثه أكثر من رسائله ، وكان في كتبه يميل في الغالب إلى الإختصار .

وقد يكون أسلوب ابن تيمية أوضح أثراً في رسائل الشيخ منه في « كتاب التوحيد » ، وفي سائر كتبه .

أسماء كتب الشيخ

أول كتاب ألفه الشيخ ، هو :

١ – كتاب التوحيد

قدم له بآيات وأحاديث في تبيان التوحيد وفضائل شهادة أن لا إله إلا الله ثم بين أنواعاً كثيرة من الشرك والمنكر ، وهذا الكتاب له شروح ، منهـا شرح الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ واسمه : فتح المجيد .

٢ – كتاب الأصول الثلاثة .

٣ – كتاب « المسائل التي خالف فيها رسول الله أهل الجاهلية » وهـو رؤوس اقلام ، شرحه الألوسي ، ويحتاج الى من يتبسط في شرحه بأسلوب علمي عصري ، ان أمكن .

٤ – كتاب كشف الشبهات .

٥ – كتاب مجموع الحديث على ابواب الفقه .

٦ – أصول الايمان .

٧ – فضل الاسلام .

٨ – كتاب الكبائر .

٩ – نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين .

وهذه الكتب الأربعة (٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩) ظهرت في « مجموعة الحديث النجدية » ، وتحدث عنها الشيخ رشيد رضا في مقدمته على المجموعة فقال ان الشيخ محمد بن عبد الوهاب راعى في جمعها«أحوج ما يحتاج اليه جماهير المسلمين من السنة»، مع تلقيهم أحكام العبادات والمعاملات من كتب الفقه . وهو أربعة أقسام :

أ – أحاديث الايمان الاعتقادية .

ب – أصول الاسلام الكلية .

ج – كبائر الاثم والفواحش التي يجب تركها .

د – الآداب الشرعية التي يجب أو يستحب فعلها والتأدب بها وكلها ملخصة من دواوين السنة المشهورة ، كالكتب الستة والمسند والموطأ وغيرها .

ومنها ما ليس لدينا نسخ منه ، كالسنن الكبرى وشعب الايمان للبيهقي .

وقد ترك رحمه الله بعض الأحاديث غير مخرجة ، ولعل سبب ذلك أنه أراد أن يراجعها في غير الكتب التي نقلها منها ، ليبين جميع من خرجوها .

١٠ – كتاب آداب المشي الى الصلاة .

١١ – مختصر الشرح الكبير والانصاف .

١٢ – كتاب السيرة المختصرة .

١٣ – كتاب السيرة المطولة .

١٤ – كتاب مختصر الهدي النبوي .

وللشيخ فوق ذلك تفاسير كثيرة للقرآن الكريم أورد « ابن غنام » في تاريخه طائفة منها ، وله رسائل رائعة ، وأجوبة على المسائل ، وخطب ، تجدها في كتاب ابن غنام وفي المجموعة النجدية .

أشهر كتابات الشيخ: كتاب التوحيد، والأصول الثلاثة، و كشف الشبهات، وآداب المشي الى الصلاة ، وهي تدرس في المدارس السعودية .

خطب الشيخ

خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، في جملتها ، مختصرة ، ولا يدعو فيها السلطان العثماني ، ولا لأمير نجد وإمام المسلمين فيها ، ويكثر فيها الترغيب في الجنة والتحذير من النار ، والحث على الإقتداء بالسلف الصالح كقوله :

« إعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة ، فأدلجوا في السير اليها . والشر كله بحذافيره في النار ، فاجتهدوا في الهرب منها . ألا وإن الدنيا عرض حاضر ، يأكل منها البر والفاجر .. والآخرة وعد صادق . » الخ ..

وكقوله :

« وعليكم بما كان عليه السلف الصالح والجماعة ، فخذوا بهديهم وما كانوا عليه في المعتقد والعمل ، والسمت والطاعة » .

شيوخ دعوا الى التوحيد المطلق قبل الإمام

يقول « صلاح العقاد » إن الشيخ عثمان بن أحمد النجدي ، سبق الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك ، في نجد ، والشيخ عثمان هذا كان تلميذ ابن العماد الدمشقي ، وقد ألف « كتاب التوحيد » ، « المنتخب من فتح الباري »لابن حجر ، مخطوط في القاهرة . وله كتـــاب آخر مفقود الآن ، اسمه : «نجاة الخلف في اعتقاد السلف » ، والعنوان نفسه ذو دلالة كافية !

وكانت وفاة الشيخ عثمان عام ١٠٩٦ هـ .

وعندنا أن الشيخ عثمان يشبه القائلين بوحدانية الله قبيل النبي محمد (ص) الذين لم يكن لهم جهد يذكر في سبيل الدفاع عـن فكرة الوحدانية ونشرها بين الناس ..
وعند قيام الشيخ بدعوته في نجد أو قبل ذلك قليلاً،ظهر في اليمن عالم جليل: هو الأمير اسماعيـــل الصنعاني ، كان يدرس في مسجد صنعاء، وألف كتاب « تطهير الاعتقاد » ، ولا تختلف آراؤه في التوحيد ومكافحة الشرك ، المتجـــلي في تقديس الأشجار والأضرحة ونحو ذلك ، عن آراء ابن عبد الوهاب .

ويقول ابن بشر إن الأمير الصنعاني لما بلغه ظهور الشيخ وما دعا اليه ، كتب إليه قصيدة يمدحه فيها ، ومطلعها :

« سلامي على نجد ومن حل في نجد وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي

ومن ابياتها :

« قفي واسألي عن عالمٍ حلّ سوحها ... به يهتدي من ضل عن منهج الرشد

« محمد » الهادي لسنة « أحمد » ... فيا حبذا الهادي ويا حبذا المهدي !

لقد أنكرت كل الطوائف قوله ... بلا صَدَرٍ في الحق منهم ولا ورد !

*

وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي

وينشر جهراً ما طوى كل جاهل ... ومبتدع منه ، فوافق ما عندي !

*

لقد سرّني ما جاءني من طريقه ... وكنت أرى هذي الطريقة لي وحدي ! »

ويزعم بعضهم أن الصنعاني رجع ، بعد ذلك ، عن تأييد الشيخ ، لما رأى من شدته على كل من لا يقول بقوله ، وأنشأ قصيدة يقول فيها :

« رجعت عن القول الذي قلت في النجدي ... فقد صح لي عنه خلاف الذي عندي »

ولكن هذا الزعم غير صحيح ، ولعل البيت مما وضعه الوضاعون ، ذلك أن تلميذ الصنعاني وخليفته : وهو الامام محمد بن علي الشوكاني الزبيدي ، مؤلف كتاب : « نيل الأوطار » ، كان محباً للشيخ ، ولما بلغته وفاته قال في رثائه قصيدة كلها إعجاب وتقدير ، ومما جاء فيها :

« لقد أشرقت نجد بنور ضيائه ... وقام مقامات الهدى بالدلائل

فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزاً ، ... ولا اشتد للاسلام ركنُ المعاقل

ولا كان للتوحيد واضح لاحبٍ ... يقيم اعوجاج السير من كل عادل

فما هو إلا قائم في زمانه ... مقام نبي في إماتة باطل »

وهناك من يقول ان عبد الله بن ابراهيم ومحمد حياة السندي وغيرهما من علماء مكة كانوا سلفيين يدعون الى التوحيد ومكافحة الشرك ، في رفق ، وقد حضر الشيخ بعض دروسهم وأفاد منها .

أئمة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

نعني بأئمة الشيخ ، كبار العلماء الذين كان لهم أثر عميق في تكوين طريقته في الدين والسياسة الشرعية ، بعد النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

ابن حنبل

أول هؤلاء العلماء ، بالطبع ، الإمام ابن حنبل ، مؤسس المذهب الحنبلي ، الذي نشأ عليه الشيخ وقام بنصرته أعظم قيام ، وكان الشيخ شديد الاعجاب بابن حنبل ، وكان يتمثل كثيراً بهذه الأبيات :

بأي لسان أشكر الله انه ... لذو نعمة قد أعجزت كل شاكر
حباني بالاسلام فضلاً ونعمة ... علي ، وبالقرآن نور البصائر
وبالنعمة العظمى : اعتقاد ابن حنبل ... عليها اعتقادي ، يوم كشف السرائر

وابن حنبل ، هو : أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد ، من بني شيبان ، من ربيعة ، ولد في بغداد عام ١٦٤ هـ . ومات فيها عام ٢٤١ هـ .

وقيل انه ولد في « مرو » ، حيث كان أبوه جندياً مرابطاً ، وجاءت به أمه الى بغداد وليداً ، فعاش فيها واستفاضت شهرته ، ولكنه لم يكتف بعلم فقهاء

بغداد ، وانما رحل الى الأمصار ، كالكوفة والبصرة والجزيرة والشام ومكة والمدينة .

جاء عنه في تاريخ بغداد ، لابن الخطيب :

« قال قتيبة : لولا الثوري لمات الورع ، ولولا أحمد بن حنبل لأحدثوا في الدين .

وقال علي بن المديني : ان الله أعز هذا الدين برجلين ليس لهما ثالث : أبو بكر الصديق يوم الردّة ، وأحمد بن حنبل يوم المحنة .

.. وروي عن الشافعي انه قال : خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أتقى ولا أروع ولا أفقه – وأظنه قال ولا أعلم – من ابن حنبل .

قيل ان أحمد بن حنبل كان يحفظ مليون حديث .

وقيل : ان أحمد بن حنبل محنة ، به يعرف المسلم من الزنديق ..

.. وحزر من حضر جنازته من الرجال : (٨٠٠) ألف ، ومن النساء (٦٠) ألفاً .

وفي كتاب « أعلام المحدثين » لمحمد أبو شبهة :

« كان أحد الأئمة المشهورين ، الذين ضربوا بسهم راجح في باب الفقه والاجتهاد ، وخالف بعضهم في عده من الفقهاء واعتبروه من كبار المحدثين ، وقال ابن جرير الطبري : « انه رجل حديث لا رجل فقه » .

كان يتشدد في قبول أحاديث الأحكام ، ويتساهل في قبول أحاديث الفضائل .

أشهر كتبه : كتاب المسند ، فيه أحاديث صحيحة كثيرة توازي أحاديث البخاري ومسلم ، وفيه ، عدا الصحيح : الحسن والضعيف والمنكر ، بل والموضوع – على ندرة جداً .

والقول بأن مسند أحمد كله صحيح قول عار عن التحقيق ..

قال ابن كثير : « ان فيه أحاديث ضعيفة بل وموضوعة ، كأحاديث فضائل عسقلان ومرو والبرث الأحمر عند حمص وغير ذلك .. »

وقد ضعف الامام أحمد نفسه أحاديث فيه ، كحديث عن عائشة أن عبد

الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا ..

وجاء بعض تلامذته وزادوا على مسنده أيضاً زيادات اندست فيه ..

ويقول الامام ابن تيمية انه ليس في المسند « موضوع » بمعنى مختلق مصنوع يتعمد صاحبه الكذب ، فأحمد لا يروي عمن يعرف أنه يكذب ، ولكن يروي عمن يضعف لسوء حفظه ، وان كان صاحبه لم يتعمد الكذب بل أخطأ فيه ، وهذا الضرب في المسند منه . »

ويقول « لاوست » في دائرة المعارف الاسلامية :

« رفض ابن حنبل فكرة أن القرآن مخلوق ، فاضطهده الخليفة « المأمون » كثيرا وحبسه ..

وفي عهد « المعتصم » جلدوه ، ثم أطلقوه واعتزل التدريس ..

وفي عهد « الواثق » حاول الظهور ، ثم اختفى ..

وفي عهد « المتوكل » ، نصير السنة ، عام ٢٣٢ هـ . ، سمح لابن حنبل باستئناف دروسه ، واختاره الخليفة ، في جماعة من العلماء ، للرد على الجهمية والمعتزلة .

ومن الخطأ النظر الى ابن حنبل كجامع أحاديث فقط ، فهو « مجتهد مستقل » ، كما وصفه ابن تيمية ، حين قال عنه : انه اختار لنفسه من هذا العدد الكبير من الأحاديث والأقوال ما هو الأمثل .

دافع ابن حنبل عن العرب ، ودعا الى حبهم ، لأن حب الرسول يوجب حب قومه ، والذين يكرهون العرب هم المنافقون ..

وكان يدعو الى الطاعة والجماعة ويشجب الفتنة ،

وقد سمح لامام المسلمين بتقرير ما يجب عمله وفقا للمصلحة والسياسة الشرعية ، وقد توسع في ذلك ابن تيمية وابن القيم الجوزية . »

ابن تيمية [٧]

لا ضرورة للتوسع في الكلام عن أثر ابن تيمية في فكر الشيخ وأسلوبه ، فذلك شيء واضح يعرفه كل واحد ، وكان الشيخ يحب ابن تيمية ويجله كثيراً ويطلب كتبه وأقواله في كل مكان ، وربما نسخها بخط يده ، ويقال انه طلب من الامام الصنعاني في اليمن ، عام (١١٨٠) كتباً لابن تيمية وابن القيم كانت عنده.

وابن تيمية هو :

تقي الدين ، أبو العباس : أحمد بن عبد الحليم بن عبد الله النميري الحراني .

ولد في بـلدة « حران » بأرض الشام عام ٦٦١ هـ. وانتقلت به أسرته الى دمشق ، وهو ابن ست سنين ، فعاش فيها ، ثم مـات في قلعتها في ذي القعدة من سنة ٧٢٨هـ. فكانت سنه عند وفاته سبعاً وستين سنة .

وضريحه — وهو الذي كافح الصوفية وتقديس القبور — بين مقابر الصوفية ، في دمشق يزار .

يقول « فيليب حتي » في كتابه: « تاريخ سورية » ان ابن تيمية ظهر في عصر اشتدت فيه نقمة المسلمين على النصارى ، بسبب تأييد بعض النصارى الصليبيين ، خاصة في انطاكية ، وان مؤلفاته تزخر بروح العصر الرجعية .

وقد يكون هذا الحكم ، من مؤرخ عرف بسعة اطلاعه وانصافه، قاسياً جداً، فابن تيمية إنما أبغضه الجهال والمتعصبون من المسلمين ، لا من المسيحيين .

وقد يكون السبب الذي دعا مؤرخنا الكبير إلى هـذا الحكم القاسي كتاب

ابن تيمية المسمى : « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » ، وهـو كتاب يدعو فيه المسلمين الى عدم تقليد أهل الكتاب والفرس في أعيادهم ونحوها؛ ولكن حركة ابن تيمية الكبرى إنما قامت على الدعوة الى التوحيد ومكافحة الشرك والبدع والجهل، حيثما كانت ، والجهال والمتعصبة من المسلمين كانوا هدفاً لحملات ابن تيمية ، أكثر من المسيحيين !

نقل الشيخ محمد حامد الفقي في مقدمته على كتاب الاقتضاء المذكور ، لابن تيمية ، طائفة مما قاله فيه بعض العلماء ، نقتطف منها هذه الفقرات :

« قال بعض أصحابه :

نشأ في حجور العلماء .. ودوحات الكتب .. لا يلوي الى غير المطالعة والاشتغال بمعالي الأمور ..

سلفياً متألهاً عن الدنيا ، صيناً تقياً ، براً بأمه ، ورعاً عفيفاً ، عابداً ناسكاً ، صواماً قواما ..

لا تكاد نفسه تشبع من العلم ..

وقلّ أن يدخل في علم من العلوم من باب إلا ويفتح له من ذلك الباب أبواب، ويستدرك مستدركات في ذلك العلم على حذاق أهله .

وقال الشيخ عبد الهادي :

لم يبرح شيخنا في ازدياد من العلوم ، وبث العلم ونشره ، والاجتهاد في سبل الخير ، حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل ، والشجاعة والكرم .. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وسائر أنواع الجهاد ..

.. وكان رحم الله سيفاً مسلولاً على المخالفين ، وشجى في حلوق أهل الأهواء المبتدعين ..

وقال الحافظ المزي :

ما رأيت مثله .. ولا رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله (ص) ، ولا أتبع لهما ، منه .

وقال الحافظ أبو الفتح الأندلسي :

إن تكلم في التفسير فهو حامل رايته ، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته ، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته ، أو حاضر بالنحل والملل لم ير أوسع من نحلته ولا أرفع من رايته ، برز في كل فن على أبنـاء جنسه .. ولا رأت عينه مثل نفسه !

ويتحدث الفقي عن المجتمع الجاهل، المسرف في عبادة الأوثان وتقديس القبور، الذي ظهر فيه ابن تيمية ، الى جانب الأعداء الذين تكالبوا عليه من كل جانب : الصليبيون يغزون السواحل، والتتار يعيثون فساداً ، وكثير من الصوفية يقومون بمهمة الأرصاد والعيون للعدو ..

نعم ، في هـذا الجو المظلم بتكاثف سحب الصوفية ، وسحب الفلسفة الهندية والفارسية واليونانية ، وسحب التقليد الأعمى واتخاذ الأحبار والأنداد أرباباً من دون الله .. ظهر ابن تيمية ، فأبت عليه كرامته أن يكون له هدف إلا رضوان الله بالإيمان به ، والدعوة الى سبيله ..

« ودارت المعركة بين شيخ الإسلام ومعه ربه ، وبين حزب الشيطان ، ومعه الجماهير ورجال الدولة، والرؤساء والسادة ، فلم يرهب جموعهم، ولم يخش سلطانهم ، ولم يهن ولم يحزن لما أصابه من أذاهم وحبسهم ، بل كان يزداد بذلك كله قوة على قوته ، وثباتاً على حقه ..

وقد حفظ الله « كتب شيخ الإسلام وفتاويه ، وحفظ قلبه ولسانه ، وحفظ جسمه وجنانه ، حتى أتاه اليقين وهو حبيس الظلم بقلعة دمشق في سنة ٧٢٨ هـ . رحمه الله » .

جهاد ابن تيمية ضد البدع ، واضطهاده ..

يقطع صخرة يتعبدونها لأنها قدم النبي في زعمهم ..

في السلوك للمقريزي :

في أخبار سنة ٧٠٤ :

.. قدم البريد من دمشق بأن تقي الدين أحمد بن تيمية تنازع مع أهل دمشق

في الصخرة التي بمسجد النارنج ، بجوار مصلى دمشق ، وان الاثر الذي بها ليس هو قدم النبي (ص) ، وأن ما يفعله الناس من التبرك به وتقبيله لا يجوز ، وأنه مضى بالحجارين وقطع الصخرة في سادس عشر رجب ، وقد أنكر عليه الناس ما فعله.

فأجيب : إن كان الأمر على ما زعم فقد فعل الخير وأزال بدعة ، وإن كان بخلاف ما قال فإذا تبين صحته يقابل على ما فعله !

يكافح الشعوذات

وفي أخبار سنة ٧٠٥ :

وفيها أظهر ابن تيمية الإنكار على الفقراء الأحمدية فيما يفعلونه : من دخولهم في النيران المشتعلة ، وأكلهم الحيات ، ولبسهم الأطواق الحديد في أعناقهم ، وتقلدهم بالسلاسل على مناكبهم ، وعمل الأساور الحديد في أيديهم ولفهم الشعور وتلبيدها ، وقام في ذلك قياماً عظيماً بدمشق ، وحضر في جماعة الى النائب وعرّفه ان هذه الطائفة مبتدعة ، فجمع له ولهم الناس من أهل العلم ، فكان يوماً مشهوداً كادت ان تقوم فيه فتنة ، واستقر الأمر على العمل بحكم الشرع ونزعهم هذه الهيئات .

حبس في الطلاق .. وفي الشفاعة .

في أخبار سنة ٧١٨ : « حبس شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية بسبب مسألة الطلاق ، بسعي قاض القضاة شمس الدين بن الحريري الحنفي عليه وإغرائه السلطان به . »

سنة ٧٢٠ : « عقد بدار السعادة بدمشق مجلس لابن تيمية ، ومنع من الإفتاء بمسألة الطلاق ، ثم اعتقل بالقلعة الى يوم عاشوراء سنة ٧٢١ فأفرج عنه . »

سنة ٧٢٦ : في شعبان حبس أحمد بن تيمية وأخوه زين الدين بقلعة دمشق قيل لأنه تكلم في مسألة الشفاعة والتوسل بالأنبياء . وكذلك فعل بابن القيم الجوزية .

ينادون في الجوامع بالنهي عن ابن تيمية

ويذكر المقريزي ان ابن عدلان سعى بابن تيمية لدى السلطان ، فعقد مجلس برئاسة قاضي القضاة ابن مخلوف ، للنظر في بعض أقوال ابن تيمية في الاستواء ، ومسألة خلق القرآن ، وغير ذلك ، فأحضروه من دمشق ، « فاجتمع القضاة والفقهاء بقلعة الجبل » ، – في القاهرة – وحضر الأمراء ، فادعى ابن عدلان على ابن تيمية ، فلم يجبه ، وقام يخطب !

فصاح عليه القاضي ابن مخلوف : نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيبا ! والزمه بالجواب ، فقال له :

أنت عدوي ! لا يجوز حكمك عليّ !

فامر باعتقاله ، فأخذ ، وسجن بحارة الديلم في القاهرة ، هو وأخوه ، وأرسلوا الى دمشق كتاباً « ليقرأ على منبر الجامع بالمنع من الكلام في العقائد والنهي عن اعتقاد شيء من فتاوى ابن تيمية ، وان يكتب على الحنابلة محاضر بالرجوع عن ذلك » !

ابن تيمية في شعر سلامة

ويقول بولس سلامة في قصيدته : «ملحمة عيد الرياض» :

كان في غرة الزمان إمام … زلزلت من بيانه الأقلام
هز مصراً فعضه القيد فيها … وتولت خنق الأسير الشآم

« ابن تيمية » يثور على الأو … هام فالحبر في الطروس ضرام .
وأشد الثورات في خاطر الأ … جيال حرب وقودها الأفهام .

مات ! ما مات في الغيابة شيخ … لقحت من يراعه الأيام
(بابن عبد الوهاب) عاش دفين … صاح : هبوا يا أيها النوام !

من تلامذة ابن تيمية

ابن القيم الجوزية

قال ابن رجب في الطبقات :

هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي ثم الدمشقي ، الفقيه الأصولي النحوي المفسر ، المفتن في علوم كثيرة ، العارف بالحديث ومعانيه ، والفقه ودقائقه والاستنباط منه .

كان له عبادة وتهجد إلى الغاية ، ولهج بالذكر وشغف بالمحبة والانابة والافتقار إلى الله تعالى والانكسار بين يديه .

حج مرات ، وجاور بمكة ، وانتفع به أهل عصره ، وله مصنفات كثيرة في فنون عديدة .

توفي بدمشق سنة « ٧٥١ » ﻫ ... ودفن بمقبرة باب الصغير ، وقبره مشهور الآن ... وبني عليه قبة الآن . »

قلنا : دعا طول حياته إلى مكافحة البناء على القبور ونحو ذلك ، فلما مات جعلوا على قبره قبة .

وقد لقي ، رحمه الله ، في حياته أذى كثيراً من ظلم الحكام وحقد الخصوم من أدعياء العلم ، ويقال أن حبسه آخر مرة كان بسبب أقواله في مسألة الشفاعة ، والتوسل بالأنبياء .

ومن أجلّ كتبه : اعلام الموقعين ، والطرق الحكمية .

الحافظ الذهبي

هو العلامة حافظ العصر ، محدث الاسلام ، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ابن قايماز الذهبي. سمع من خلائق كثيرة يزيدون على ألف ومئتي شيخ ...

وصنف التصانيف الكثيرة البديعة المشهورة ، مع الدين المتين والورع والزهد ، وأذعن له أهل عصره في الحفظ والاتقان . توفي سنة « ٧٤٨ » في دمشق ، ودفن بباب الصغير .

العماد بن كثير

هو عماد الدين بن كثير البصري ثم الدمشقي .

تفقه على البرهان الفزاري والكمال بن قاضي شهبة ، وأقبل على علم الأصول والحديث ، وحفظ المتون والتواريخ ، حتى برع وهو شاب .

له مصنفات كثيرة بديعة مشهورة ، وكان يميل إلى شيخه ابن تيمية ويناضل عنه .

مات سنة « ٧٧٤ » هـ . ، ودفن بمقبرة الصوفية ، عند شيخه ابن تيمية .

الكتب المعتمدة عند الحنابلة « الوهابية » ، في نجد

قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، في احدى رسائله :

« كتب التفسير : اننا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة ومن أجلها لدينا : تفسير ابن جرير ، ومختصره لابن كثير الشافعي .

وكذلك البغوي ، والبيضاوي ، والخازن ، والحداد ، والجلالين ، وغيرهم .

كتب الحديث : وعلى فهم الحديث بشرح الأئمة المبرزين ، كالعسقلاني ، والقسطلاني على البخاري ، والنووي على مسلم ، والمناوي على الجامع الصغير .

ونحرص على كتب الحديث ، خصوصا الأمهات الست وشروحها [1] .

سائر الكتب : ونعتني بسائر الكتب في سائر الفنون ، أصولا وفروعا ،

---

١ – كتب الحديث الستة ، غير البخاري ومسلم ، هي : الموطأ « لمالك » ، والمسند « لابن حنبل » ، والكتب المعروفة بـ « السنن » ، للترمذي ، وأبي داود والنسائي وابن ماجة .

وقواعد وسيرا ونحوا وصرفا وجميع علوم الأمة .

ولا نأمر باتلاف شيء من المؤلفات أصلا ، الا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك، كـ «روض الرياحين» ، وما يحصل بسببه خلل في العقائد كعلم المنطق،[1] فانه قد حرمه جمع من العلماء ، وكالدلائل ، على أنا لا نفحص عن مثل ذلك .. الا ان تظاهر به صاحبه معاندا ، أتلف عليه .

وما اتفق لبعض البدو من اتلاف بعض كتب أهل الطائف ، انما صدر من بعض الجهلة وقد زجر هو وغيرهم عن مثل ذلك . »

ويجب علينا أن نضيف الى الكتب التي ذكرها الشيخ عبد الله ، على سبيل المثال لا الحصر : كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وكتب ابن تيمية وابن القيم الجوزية ، وكذلك كتب موفق الدين بن قدامة ، وهو عندهم ، في الفروع ، من المراجع المعتبرة جدا .

وموفق الدين بن قدامة ولد في دمشق سنة ٥٤١ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ . ودفن بسفح جبل قاسيون ، وقبره هناك يسمى الروضة ، لأنه دفن فيه ..

وهو صاحب « المغني » ، و « المقنع » وغير ذلك من المصنفات في الفقه الحنبلي .

١ - انما يعني بالمنطق تلك الكتب القديمة الممزوجة بالفلسفة الباطلة ، لا المنطق السليم .

وفاة الشيخ

من المؤسف أن مؤرخي نجد ، ابن غنام وابن بشر ، لا يتفقان على تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فابن غنام يقول :

« كان ابتداء المرض به رحمه الله تعالى في شوال ، ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته »

ويقول ابن بشر :

« وكانت وفاته آخر ذي القعدة من السنة المذكورة — ١٢٠٦ هـ . — رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وكان قد ثقل في آخر عمره ، فكان يخرج لصلاة الجماعة يتهادى بين رجلين حتى يقام في الصف ، وله من العمر اثنتان وتسعين سنة » .

ويزعم صاحب « لمع الشهاب » أن الشيخ توفي عام ١٢١٢ ، ولعل هذا التاريخ نتيجة خطأ مطبعي ، ومما قاله أيضاً :

ان الشيخ ، لما بلغ الثمانين من عمره ، اعتزل عن التصرف في الأمور ، واتخذ الخلوة والزهد والورع .

ثم وصف حزن الناس الشديد عليه ، وخصوصاً الإمام عبد العزيز ، ثم قال :

« أخرجت جنازته إلى المسجد الجامع فجاء الناس فوجـاً فوجاً للصلاة عليه ، ودفن في مقبرة معهودة لآل سعود من قبل » .

تركة الشيخ

ويقول صاحب اللمع إن الشيخ « لم يخلف من المال إلا أرضاً قد اشتراها في حياته في بدء الأمر ذات نخل وزرع وأشجار وفواكه تسوى خمسين ألف ذهب – كذا – .

وترك مائتي كتاب ، وقيل ستمائة كتاب .

فأما الكتب فإنها باصطلاح أولاده أجمع جعلت وقفاً لكل عالم يتولى مسند القضاء والفتيا .

وأما الأرض فقد بقيت غير مقسومة ، كما هي قبل موته ، ولكن الحاصل منها كل سنة يقسم بين الورثة

زوجات الشيخ

تزعم صحيفة الخليج الفارسي أن الشيخ كان مزواجاً ، تزوج نحو عشرين مرة ، وكان له ثمانية عشر ولداً بين ذكور وأناث .

وليس بين يدينا ، في الكتب العربية ، إثبات لهذه الرواية ، ولكننا لا نملك نفيها أيضاً !

والمعروف أن الشيخ تزوج ، في أول شبابه ، في العيينة ، في حياة والده ، وقبل رحلته .

ويقال أيضاً – وتلك رواية اللمع – إنه تزوج في بغداد امرأة غنية .

ولما انتقل إلى العيينة ، من حريملا ، تزوج « الجوهرة » بنت عبدالله بن معمر ، وهي التي نزل محمد بن سعود بأمانها من مكان كان صعد اليه وتحصن فيه ، بعد مقتل زيد بن مرخان ، أمير الدرعية .

أبناء الشيخ

كانوا ، في نجد ، اذا قالوا : الشيخ ، مجردا من كل اسم أو لقب ، عرف كل انسان ان المقصود بذلك ، هو : الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ولذلك سموا أولاده : أولاد الشيخ

وتعرف ذرية الشيخ الى اليوم في البلاد باسم : آل الشيخ .

وأولاد الشيخ المذكور ، هم : حسن وحسين وعبـــد الله وعلي وابراهيم وعبد العزيز .

وقد مات ابراهيم وعبد العزيز ، في حياة والدهما ، ولم يعقبا .

وسنتحدث قليلاً عن أولاده الأربعة الأوائل .

١ – حسن

لا يذكر ابن غنام ولا ابن بشر شيئاً عن ابن الشيخ : « حسن » ، ولكن ابنه عبد الرحمن بن حسن كان أكبر علماء نجد في زمانه ، وكذلك ابن ابنه عبد اللطيف بن عبد الرحمن ، كان أجل علماء نجد في وقته .

٢ – حسين

يقول ابن بشر ، في أخبار سنة « ١٢٢٤ هـ . » :

« وفيها اشتد الوباء والمرض ، خصوصاً في بلد الدرعية ، ومات في الدرعية خلق كثير ..

وتوفي في هذا الوباء من الأعيان :

العلامة المفيد ، مفتي فرق أهل التوحيد ، الشيخ القاضي حسين ، ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان له معرفة في الأصل والفرع والتفسير وغير ذلك ..

كان الشيخ حسين هـــو القاضي في بلد الدرعية ، والخليفة بعد أبيه في القضاء والامامة والخطبة .

كان اماما في مسجد البجيري الكبير الذي في منازل الدرعيــة الشرقية ، وكان صيتاً بحيث أنه يسمع تكبيره في الصلاة أدنى المسجد وأقصـــاه .. وهو الخطيب والامـام يوم الجمعـــة في مسجد الطريف الكبير ، الذي تحت قصر آل سعود في المنازل الغربية .

وكان ضريراً بصره . »

.. وله عـــدة بنين ، ومعرفتي منهم : علي وحسن وعبد الرحمن وحمد وعبد الملك .

ومن مشاهير ذرية حسين : ابن ابنـــه : عبد الله بن حسن بن حسين ، قاضي قضاة المملكة العربية السعودية ، في وقته .

٣ — عبد الله

يقول ابن سحمان ، في كتابه : « كشف غياهب الظلام » :

« كان القائم بعد الشيخ بهذه الدعوة : ابنه عبد الله ، لما خصه الله تعالى به من العلم والمعرفة ، وكان اخوانه من آل الشيخ معاضدين له .

وكان الامام عبد الله هو الامـام الذي ترجع اليه الأمور في وقته ، ثم لـما نقل ابراهيم باشا آل سعود وآل الشيخ الى مصر ، مكث عبد الله بهـــا مدة طويلة ثم مات بمصر » .

وهذا الكلام قد يبدو مناقضاً لقول ابن بشر إن الخليفة بعد الشيخ محمد هو

ابنه حسين ، والراجح أن الشيخين عبد الله وحسين توزعا الأعمال ، فكان الشيخ حسين خطيبا مع القضاء ، وكان الشيخ عبد الله يقوم مع القضاء بسائر الشؤون الدينية ، المتفرعة عن الدعوة .

تولى الشيخ عبد الله القضاء لعبد العزيز وسعود وعبد الله بن سعود .

ولما استولى ابراهيم باشا على الدرعية نفى عبد الله ، مع من نفاهم ، الى مصر ، فمات فيها .

وكان لعبد الله ولدان مشهوران : سليمان وعبد الرحمن

أما سليمان ، فمات قبل أبيه ، شهيدا ، وذلك أن ابراهيم باشا أمر باحضاره الى مجلسه « وأظهر بين يديه آلات اللهو والمنكر ليغيظه – وكان ابراهيم باشا أحضر معه الى الحجاز ونجد المغنيات وآلات اللهو والمسكرات – ثم أمر جنوده باطلاق الرصاص عليه فأردوه قتيلاً [1] .

وأما عبد الرحمن بن عبد الله ، فقد عاش منفياً في مصر ، ومات فيها سنة ١٢٧٤ هـ .

وكان عبد الرحمن هذا عالماً يشار اليه بالبنان ، وكان يدرس في رواق الحنابلة في الجامع الأزهر بالقاهرة ، واستوطن أولاده في مصر .

ويظهر أن المؤرخ الفرنسي « مانجان » اخذ اكثر معلوماته عن نجد من الشيخ عبد الرحمن ، خلال أقامته في مصر ، بمهمة علمية .

---

١ – انظر مقدمة « تيسير العزيز الحميد في شرح التجويد » ، للمفتي الاكبر سماحة الشيخ محمد بن ابراهيم .

تلاميذ الشيخ

ذكر ابن بشر من تلامذة الشيخ المشاهير أحد عشر شيخاً ، وهم :

١ ـ أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

٢ ـ عبد العزيز بن عبد الله الحصين .

٣ ـ سعيد بن حجي .

٤ ـ محمد بن سويلم .

٥ ـ عبد الرحمن بن خميس .

٦ ـ عبد الرحمن بن نامي .

٧ ـ محمد بن سلطان العوسجي .

٨ ـ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبا الحسين .

٩ ـ حسن بن عبد الله بن عيدان .

١٠ ـ حمد بن راشد العريني .

١١ ـ عبد العزيز بن سويلم .

الوهابية في بعض الكتابات الغربية الحديثة

هنري لاوست

Henri Laoust

يقول المستشرق الفرنسي «هنري لاوست» إن «السلفيـــة الجديدة» لقب يطلق على حركة الإصلاح والتجديد الديني التي نادى بها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومن يقول بقولهما، وقــد سبق لهذين الزعيمين أن اجتمعا في باريس عــام (١٨٨٣) ووضعا معاً أسس حزب ديني عضري متحرر.

ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية، لأنها أرادت إعادة الاسلام إلى صفائه الأول، في عهد السلف الصالح، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الحنابلة، ففي كل المذاهب السنية سلفيون.

كان ابن تيمية يستعمل كلمة السلف (أو السلفية)، ولكنه كان يستعمل أكثر من ذلك كلمة «محمديين»، وأمـــا الوهابيون فيرجحون استعمال كلمة «الموحدين».

وهناك فرق واضح، في الحقيقة، بين الوهابية والسلفية الجديدة.

فالوهابيون حنابلة، في العقيدة والفقه، وهم في الفروع يتبعون أفكار موفـق الدين بن قدامة أكثر مما يتبعون ابن تيمية وابن القيم الجوزية.

ولكنهم،لشدة تمسك بعضهم بأقوال علمائهم السابقين،خالفوا الفكرة التي شاعت عنهم – بفضل مؤسس الحركة الوهابية الاصلاحية – والتي تتلخص في أنهم ثاروا على التقليد ، ورجعوا بالاسلام الى صفائه الأول .

ان السلفية الجديدة « تتميز » عن غيرها ، بأن نظرياتها أدنى الى العقل ، وأنها تفتح باب الاجتهاد ، وتكافح الخرافات ، والغلو في الدين ، وتجتهد في التوفيق بين الدين وبين مطالب العصر .

لامـــانس

Henri Lammens

يقول المستشرق ، البلجيكي الأصل، الأب «لامانس» في كتابه: «الاسلام»، ان محمد بن عبد الوهاب « تبنى » كل أفكار ابن تيمية، وفهم « القرآن » كما يفهمه أهل الظاهر ، ولم يكن راضياً عن آراء الأشعريين ، وكان عدواً لكل جديد، مهما يكن شكله .

وكان يرى أن تكون المساجد في منتهى البساطة ، فلا فسيفساء ولا طلاء ... ولا منارة ولا محراب .

والوهابية و « السنوسية » في المغرب تتشابهان من حيث دعوتهما المشتركة العودة الى بساطة الاسلام الأولى ، ولكنهما مختلفتان الآن .. فالسنوسية هادنت « الصوفية » – أو حـــالفتها – فنشأت في ظلها الطرق والزوايا ، التي يسمونها « الخوان » – ولعلها تحريف الاخوان – كما نشأت طرق «الخلوتية» و «الرحمانية» و « التيجانية » ، التي ينتمي اليها أكثر من مائتي ألف رجل ..

القبور – ومما أخذته الوهابية عن ابن تيمية مكافحتها لتقديس الموتى ، والبناء على القبور ، ومن المفارقات العجيبة ان (ابن تيمية) له ضريح في دمشق، بـــين الأضرحة الصوفية ، المبنية !

مسألة الاجماع ـ أخطر ما عند الوهابيين مسألة : « الإجماع » ، فهم يعرّفون الإجماع بأنه إجماع الصحابة والتابعين فقط .. بينما قبل « الغزالي » إجماع الأمة ، الممثلة في علمائها المجتهدين ، ولو كان ذلك في العصر الحاضر . وبهذه الوسيلة قُبلت أمور كثيرة ، لم تكن موجودة في عهد الصحـــابة وتابعيهم ، كالمولد النبوي ، وأخيراً .. التصوير « الفوطوغرافي » .

وكذلك خلافة العثمانيين ، مع أنهم ليسوا من العرب ولا من قريش ، قبل بها الناس ، فاعتبر إجماعهم كافياً لجعلها شرعية .

قد يكون الوهابيون على شيء من الحق في مناهضتهم للاجماع الذي يقول بـه غيرهم من أهل السنة ، ولكنهم بحصرهم الإجماع بالصحابة والتابعين فقط ، ضيقوا الدائرة .. أمام «التطور» الذي يستوجبه انتشار الإسلام في العالم وتغير الأزمنة ..

والوهابية في هذا الموقف تشبه الكنيسة اليونانية الشرقية التي لا تقبـــل إلا « تعريفات » المجامع « الأوكومونية » السبعة الأولى ، وتقف عندها !

الأتراك والحنابلة

شجع السلاجقة ، ثم الأتراك ، المذهب الحنفي ، الذي كان يدعى بحق مذهب الرأي ، وكانوا يسمون مؤسسه أبا حنيفة : « الإمام الأعظم » .

وهكذا ضعف شأن الحنابلة .

ثم ظهر في الشام ابن تيمية ، وقاوم الصوفية ، وكافح البدع وأعطى الحنبلية رواء جديداً ، ولكنه اضطهد وعذب ومات مقهوراً .

وجاء بعده ، بأربعة قرون ، الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فسار على نهجـه ، ولعله إنما بدأ بقراءة كتبه أثناء إقامته في « المدينة » فأحبه وأعجب بـــه وجدد أفكاره وبعثها بعثاً قوياً ووفق في حركته ..

ويندر

R. B. Winder

ويقول ر . ب . ويـنـــدر في كتابه : « العربية السعودية في القرن التاسع عشر » :

كما سموا أريسطو : « المعلم »
هكذا سموا محمد بن عبد الوهاب : «الشيخ . »

ومما قاله: إن الشيخ علم الناس المبادىء الوهابية في وقته، ولم يدخل عليها أتباعه من بعده إلا تغييرات قليلة .

ثم قال : إن رئيس الحكومة الوهابية – أو الإمـام – يجب عليه تنفيذ أحكام الشرع .

.. وعندهم (مطوعة) يكرهون الـاس على الصلاة في المساجد ونحو ذلك .

ونحن لا نعرف إن كانت الوهابيـــة تستطيع مواجهة عصر الذرة والفضاء ، ولكن أحداً لا ينكر قيمتها وأثرها في الفكر الاسلامي الحديث ، وأنها استطاعت الانتقال من « الواقعية » الى « المثالية » ، ومما كان عليه الاسلام الى ما يجب أن يكون عليه ، وبقيت محتفظة « بحيويتها » وفكرتها التحريرية .

لقـــد صدم الوهابيون الأوائـل بتشددهم سائر المسلمين ، ولكن الوهابية في الحقيقة كانت نعمة على المسلمين بساهمتها الواسعة في تنبيه المسلمين الى مظاهر الوثنية وتحذيرهم منها .

ولم يقتصر فضل الوهابية على خدمة الدين بتطهيره من آثار البدع ، وإنما كانت لها ناحية قومية ، لأنها وقفت أيضاً في وجه الدولة العثمانية وحررت منها قسماً من جزيرة العرب ودعت الشعوب العربية بذلك الى التحرر أيضاً .

ولا شك ان الوهابيـة حققت فكرة ابن خلدون القائل ان العرب البـدو يستطيعون ان يؤلفوا قوة لها شأنها متى انقادوا الى الدين .

ومن يقارن بين مراحل ظهور الدين الاسلامي وانتشاره ، وبين مراحل ظهور الحركة الوهابية وانتشارها وما سبق ظهورهما من جاهلية يجد أوجه الشبه واضحة».

مـــاسه

H. Massé

ويقول هنري ماسه في كتابه « الاسلام » :

ولدت الوهابية من نزعة مضادة تماماً للنزعة التي نشأت عنها حركة « أكبر » ، لأنها أرادت الرجوع الى الماضي ، وزادت (أو زايدت) على توحيـــد المسلمين ، وكلهم في الحقيقة ، موحد .

رأت الوهابية في كثير من العادات والأعمال الممارسة منذ وقت طويل نوعاً من الشرك : كتقديس الأنبياء والأولياء والقبور، وفي نظرها ان الأنبياء والأولياء لا يملكون معرفة الأشياء الغيبية ، واعتبارهم شفعاء أو وسطاء هو اعطاؤهم سلطاناً لا يملكه إلا الله وحده ، ومحمد نفسه لا يعطى حق الشفاعة إلا في الدار الآخرة .

إن الوهابيين لا يجيزون تقديس شيء مخلوق ، مثلاً السجود أمـام القبر ، ولو كان قبر النبي ، ولا الطواف حوله بخشوع ، ولا تقبيل حجر يعتبر مقدساً ، وهم ينكرون الطيرة (كالاعتقاد بأيام سعـــد وأيام نحس) وتصديق الكهان ، وهم كذلك ينكرون الحالف بالنبي أو بأهل بيته ، كما أنهم يحرمون المشروبات الكحولية والدخان والموسيقى والرقص واللهو ..

والوهابية تستعير اسمها من ابن عبد الوهاب المتوفى سنة ١٧٨٧ م، ولم تنشأ عن أفكار كأفكار الخوارج – كما يتوهم بعض الجهلاء – وإنما نشأت عن الأفكار الحنبلية .

ولقد بعثت الحنبلية عملياً في أوائل القرن الرابع عشر بفضل فقيه عظيم هو ابن

تيمية ، الذي هوجم كثيراً ومات في السجن . ولكن في القرن الثامن عشر ، ظهر ابن عبد الوهاب ، وتشبع من أفكار ابن تيمية ، واستخرج منها « الوهابية » التي تتلخص في أنها رد فعل عنيف جداً ضد فكرة « التقديس » المسيطرة يومئذ .

معلمة الإسلام

كتبت معلمة الإسلام ، في نسختها الأنكليزية ، تحت عنوان « الوهابية » ، ما يأتي :

غاية الوهابيـة تطهير الإسلام ، وتجريده من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري ، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة وبكتب الحديث الستة .

أما أعظم الأشياء التي ينكرونها ، فهي الأمور الآتية ، نستعيرها من كتاب « اللمع » :

١ – كل انواع العبادة ، ما عدا عبادة الله ، باطلة ويستحق فاعلها القتل .

٢ – من الشرك إدخال اسم نبي أو قديس أو ملك في الصلاة ..

٣ – من الشرك طلب شفاعة أي إنسان عند الله .

٤ – من الشرك الدعاء لغير الله .

٥ – من الكفر تأويل القرآن .

٦ – من الكفر اتباع رأي لا يستند إلى القرآن أو الحديث أو القياس .

٧ – من الشرك تقديس الأولياء والصالحين وتعبد القبور .

٨ – إنكار القدر في كل الأفعال إلحاد .

ويختلف الوهابية ، مع انهم حنابلة ، عن ابن حنبل بما يلي :

١ – حضور الصلاة في المساجد إجباري .

٢ – لا يكفي التلفظ بالشهادة لجعل الإنسان مسلماً وجعل ذبيحته حلالاً، وإنما

يجب استقصاء أحواله .

٣ – الزكاة تؤخذ عـــن الأرباح الخفية ، كأرباح التجارة ، بينما يستوجبها ابن حنبل على الأرباح الظاهرة .

٤ – التدخين محظور (ويجلد) صاحبه (٤٠) جلدة على الأكثر ومن يحلـــق لحيته (يعزر) ..

وزاد « زويمر » : انهم لا يستعملون « المسبحة » وإنما يذكرون اسم الله على أصابعهم ، وأن مساجدهم بسيطة وليس فيها مآذن .

معجم هاستنغ

وجاء في معجم « هاستنغ » الشهير ، المسمى « الدين والأخـــلاق » في بحث « الوهابية ما يأتي :

إن أصحاب هذا المذهب يقولون :

١ – ان الله له شكل جسماني ، أي له وجه ويدان الخ ..

٢ – لا موضع عندهم للرأي في المسائل الدينية ، وإنما يجب حل هـذه القضايا بالرجوع إلى القرآن والسنة وحدهما .

٣ – لا يعترفون « بالإجماع » مصدراً للأحكام .

٤ – لا يعترفون كذلك « بالقياس » .

٥ – المسلمون الذين لا يدخلون معهم في جماعتهم يعتبرون كفاراً .

٦ – لا الرسول ولا أي ولي يستطيع أن يكون واسطة بين الخالق والعبد !

٧ – يحرمون زيارة قبور الأولياء .

٨ – لا يجوز الحلف إلا بالله وحده .

٩ – النذور محرمة إلا لله ، ولا يجوز تقديم الذبائح إلى أضرحة الأنبياء أو الأولياء .

لوثروب ستودارت

Lothrop Stoddard

يقول لوثروب ستودارد ، في كتابه : « حاضر العالم الاسلامي » ، الذي نقله الى العربية عجاج نويهض وعلق عليه الأمير شكيب أرسلان :

« في القرن الثامن عشر كان العالم الاسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ ومن التدني والانحطاط أعمــق دركه .. وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء ، فألبست الوحدانية التي علمهـا صاحب الرسالة الناس سجفاً من الخرافات والقشور الصوفية وخلت المساجد من أرباب الصلوات ..

وفيما العالم الاسلامي مستغرق في هجعته اذا بصوت يدوي من قلب صحراء شبه جزيرة العرب ، مهد الاسلام، ويوقظ المؤمنين ويدعوهم الى الاصلاح والرجوع الى سواء السبيل ، فكان صاحب هذا الصوت الصارخ انما هو : المصلح المشهور محمد ابن عبد الوهاب، الذي أشعل نار الوهابية فاشتعلت واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الاسلامي ، ثم أخذ هــذا الداعي يحض المسلمين على اصلاح النفوس واستعادة المجد الاسلامي القديم والعز التليد ، فتبدت تباشير صبح الاصلاح ، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الاسلام .

تشدد الوهابيين في أول الأمر

.. قام عدد من النقدة ، اتخذوا الوهابية دليلاً لكلامهم ، وقالوا ان الاسلام بجوهره وطبائعه غير قابل للتكيف على حسب مقتضيات العصور ومماشاة أحوال الترقي والتبدل ، وليس الفا لتطورات الأزمنة وتغيرات الأيام .

بيد ان نقدهم هــذا فاسد باطل ، ولا مسوغ له ، اذ قد فاتهم أن الدور الأول لكل اصلاح ديني انمـا هو الرجوع الى حالة أصــل ذلك الدين المراد اصلاحه ، والاستمساك به على حالته الأولى استمساكا لا يحتمل نقد ناقد ولا اتهـام متهم،

فالمصلح الديني لا يرى سبيلا للقيـــام بالاصلاح وبلوغ الغاية الا بنسخ جميع البدع والأوهام اللاصقة بالدين دون اعتبار صفاتها وماهيتها .

ليعتبرن العاقل اللبيب : انه لما بدأ الاصلاح البروتستانتي عندنا انما كان مبدأه على هـذه الطريقة .. فقـد نبـذ المتعصبة المتشددة من البروتستانت المعروفين باسم « المتطهرين » المصلح الكبير « أراسيموس » ، واتهموه بالباطـــل وشددوا عليه النكير متعامين قائلين ان الحركة الاصلاحية انما هي افتراء على الدين الصحيح ، ولا شأن لها سوى ابدالها « البابا » المعصوم بالتوراة .. المعصومة . »

جان ريفوار

Jean Rivoire

كتب « جان ريفوار » ، الذي أسلم وتسمى باسم : « حيدر بامـــات » ، في كتابه « مجالي الاسلام » ، الذي نقله الى العربية المرحوم عادل زعيتر :

« تحمـــل أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر طابع أعظم سقوط مني به الاسلام، وكانت الامبراطورية العثمانية وفارس وأمبراطورية المغول بالهند في دور الانحلال ..

وعـاد الدين ، الذي أثقـل بالخرافات المخزية ، لا يمتّ الى توحيد محمد (ص) بغير صلات بعيدة ، فقـــد حلّت محله باطنية باطلة وعبادة للأولياء والأضرحة ، استغلت بمهارة من قبل مشايخ جاهلين موزعين لتمائم وتعاويذ ..

وكان البلدان المقدسان ، مكة والمدينة ، يعرضان مظهراً مكدراً من الفسق والفسـاد في موسم الحج من كل سنة ..

وفي هذه الأحوال المنكدة للاسلام كثيرا ، حين كان يظهر أن روحه تهجره ، حدث رد فعل شاف ، وقد انطلق رد الفعل هذا من جزيرة العرب ،..

وكان محمد بن عبد الوهاب ذاك النذير ..

وتحف بتعاليم هـــذا الرجل ، الذكي الفؤاد ، والمتـين الخلـق ، والذي يشبه بـ « كالفين » أحيانا ، قلوب بني قومه ، فقـد نفخ فيهم حماسة الأيام الأولى من الهجرة .

وما قام به من دعوة للعودة الى نقاوة الاسلام الأولى دوّى حتى أقاصي العالم الاسلامي ، فكان خميرة فعالة أحيت جميع حركات الاصلاح التي حدثت منذ ذلك الحين . . »

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن رحلة الشيخ ومكافحته للبدع ،ثم يقول ان الوهابية هي الحنبلية نفسها ، ولكنها في مظهر أكثر تشددا ، وان جماعة من النقاد رأوا أن الوهابية ستحول دون سير البلاد في طريق النهضة لتمسكهـا بالحالة التي عليها القوم وتخوفها من روح العصر ، ولكن نهضة المملكة العربية السعودية الحاضرة أثبتت فساد أقوال هؤلاء النقدة ، ويعد ما حققته حتى الآن « دليلا بيناً على أهلية الوهابية الملاءمة مقتضيات الأزمنة الحديثة » ، ولقادة المملكة في سياستهم الاصلاحية قاعدة حكيمة وهي الأخذ بالجوهر والمفيد ، وطرح العرض وكل مـا كان فاسدا ، وقد أحسن الضابط « أرمسترونغ » بقوله :

« عزم ابن سعود على ألا يقتبس من الأوربيين غير أصلح ما يقدمون اليه ، فهو لا يريد أن ينتحل غير مـــا يحققونه عمليا ، من سيارات وطائرات ونحو ذلك ، ولكنه يضرب بمبادئهم عرض الحائط . .

وهو سيحمل رعاياه على الطريق السوي ، ولكنه لن يعجزهم مطلقا . .

وهو يفضـــل تحولا في المزاج الذهني وفي طراز العيش على انتحـــال الأزياء الأوربية . . »

ما كُتب عن الوهّابيّة حديثاً في اللغة العربيّة

كثرت الكتابات عن الوهابية قديماً وحديثاً .

وفيها ثناء ، وفيها تجريح !

وكانت الكتابات في زمن العثمانيين كلها تقريباً حملات جائرة ظالمة ، ثم أخذ الناس يتشككون في حقيقة هذه الكتابات ، ويتفهمون الأسباب السياسية والدوافع الشخصية التي كانت تمليها على أصحابها .

وأخيراً بدأ العلماء المنصفون يعطون الحركة الوهابية حقها من الانصاف والتقدير ، وان لم يكونوا من أتباعها وأنصارها ، واذا اختلفوا معها في أشياء، فهم يعرفون لها فضلها ومزاياها ، ولكنهم انما يخشون عليها من الغلاة الذين يريدون فرض آرائهم « المتطرفة » على الآخرين ، لتوهمهم أن الحق معهم وحدهم !

وها نحن نقتطف شيئاً مما كتبه المؤلفون العرب عن الوهابية ، ومما ترجم من كتب الغربيين الى اللغة العربية :

طه حسين

الوهابية أيقظت النفس العربية

قال طه حسين ، في محاضراته «الحياة الأدبية في جزيرة العرب» :

« يعنينا من هذا المذهب أثره في الحياة العقلية والأدبية عند العرب ، وقد كان هذا الأثر عظيماً خطيراً من نواح مختلفة، فهو قد أيقظ النفس العربية ، ووضع أمامها مثلاً أعلى أحبته وجاهدت في سبيله بالسيف ، والقلم ، واللسان ، وهو قد لفت المسلمين جميعاً ، وأهل العراق والشام بنوع خاص، الى جزيرة العرب ».

عباس محمود العقاد

اثر ابن تيمية واضح

ويقول عباس محمود العقاد في كتابه : « الاسلام في القرن العشرين » :

« المنبع الذي صدرت عنه الحركتان : حركة ابن تيمية وحركة ابن عبد الوهاب واحد : هو مذهب ابن حنبل ..

ولكن ابن عبد الوهاب تأثر كذلك بحركة ابن تيمية ، وقرأ كتبه ورسائله وفتاواه ، وتفهمها وأخذ عنها ، وترسم خطاه ، وأخذ بآرائه ، كما تأثر كذلك بكتب تلميذه ابن القيم الجوزية وآرائه ، ومما يثبت هذا كله أن بعض رسائل ابن تيمية الموجودة في المتحف البريطاني مكتوبة بخط محمد بن عبد الوهاب ، فهي مما كان ينسخه لنفسه ،وهو في رسائله التي كتبها لشرح دعوته أو لمناقشة معارضيه يعتمد كثيراً على آراء ابن تيمية وابن القيم الجوزية ويستشهد بأقوالهما » .

ويرجع العقاد أسباب فشل حركة ابن تيمية الى كثرة الفرق الدينية في الشام وكون العالم الاسلامي يومئذ كان في عنفوان ثورته على الصليبيين ، ثم لم تكن له قوة سياسية وحربية تسانده..بل كان هناك العكس،وكان القضاة والولاة ضده.. بعكس ما كان الحال مع محمد بن عبد الوهاب .

كانوا مخطئين في مسألة التكفير

وقال العقاد أيضاً: « ومما أخذه المعارضون على الحركة الوهابية كذلك ترمتها

الشديد واتهامها لكل من لا يأخذ بمبادئها بالكفر والمروق ، ثم يقول : إن الاجتماع منعقد أو يكاد على استنكار البدع والخرافات التي ذكرها ابن عبد الوهاب ، ولكن الخلاف على الشرك والتكفير أو على درجة الشرك الذي يخرج صاحبه عن الملة .

وأكبر من خالف الشيخ في ذلك أخوه الشيخ سليمان صاحب كتاب « الصواعق الالهية » وهو لا يسلم لأخيه بمنزلة الاجتهاد والاستقلال بفهم الكتاب والسنة ويقابل تفسيراته بتفسيرات تذهب في غير مذهبها ، ويعتمد على ابن تيمية وابن القيم في مناقشة أخيه ،فيقول إن من أصول أهل السنة المجمع عليها ،كما ذكراها: «أن الجاهل والمخطىء من هذه الأمة يعذر بالجهل والخطأ حتى تتبين الحجة التي يكفر تاركها بياناً واضحا لا يلتبس على مثله أو ينكر ما هو معلوم بالضرورة من أركان الاسلام مما أجمعوا عليه إجماعاً جلياً قطعيا يعرفه كل من المسلمين » .

ويرى أن البدع التي يمر بها الأئمة جيلاً بعد جيل ولا يكفرون أصحابها ، لا يكون الكفر فيها من اللزوم الذي يوجب القطع به ويستباح من أجله القتال.» .

أحمد أمين

تحدث المرحوم الاستاذ أحمد أمين ، في كتابه : « زعماء الإصلاح في العصر الحديث » ، حديثاً طويلا عن المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، بدأه بالكلام عن نشأته ورحلته، فقال إنه « طوّف في كثير من بلاد العالم الإسلامي ، فأقام نحو أربع سنين في البصرة ، وخمس سنين في بغداد وسنة في كردستان وسنتين في همدان ثم رحل الى اصفهان حيث درس الفلسفة والتصوف ، ثم تحدث عن التوحيد الذي قامت عليه حركة ابن عبد الوهاب ، وعن شدة تأثره بآراء ابن تيمية في مكافحة البدع ، وفسر نجاحه بأنه نتيجة التعاون الوثيق بينه وبين الأسرة السعودية ثم انتقل الى الحديث عن موقف الحكومة السعودية الراهن من رجال الدين ، وكان الأجدر به أن يفرق بين رجال الدين وبين الغلاة الذين لا يخلو منهم بلد ، فقال :

طريق وسط بين تيارين

رأت « الحكومة » نفسها أمام قوتين قويتين لا معدى لها عن مسايرتهما : قوة رجال الدين في نجد المتمسكين أشد التمسك بتعاليم ابن عبد الوهاب والمتشددين أمام كل جديد فكانوا يرون أن التلغراف السلكي واللاسلكي والسيارات والعجلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين .

وقوة التيار المدني ، الذي يتطلب نظام الحكم فيه كثيراً من وسائل المدنية الحديثة ، كما يتطلب المصانعة والمداراة .

فاختطت لنفسها طريقاً وسطاً وشاقاً بين القوتين ، فقد عدلت نظرها الى الأقطار الاسلامية الأخرى وعدتهم مسلمين ، وبدأت تنشر التعليم المدني بجانب التعليم الديني ، وتنظم الادارة الحكومية على شيء من النمط الحديث ، وتسمح للسيارات والطيارات واللاسلكي بدخول البلاد واستعمالها وما الى ذلك ..

وما أشقه عملاً : التوفيق بين علماء نجد ومقتضيات الزمن ، وبين طبائع البادية ومطالب الحضارة .

محمد عبده .. تلميذ ابن عبد الوهاب

وينهي أحمد أمين بحثه بالتحدث عن أثر الوهابية في الحركات الاصلاحية الحديثة ، فيقول ، على سبيل المثال :

« .. في مصر شب الشيخ محمد عبده فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو ، فرجع الى هذه التعاليم في أصولها من عهد الرسول الى عهد ابن تيمية الى عهد ابن عبد الوهاب ، وكان أكبر أمله أن يقوم في حياته بعمل صالح ، فأداه اجتهاده وبحثه الى هذين الأساسين اللذين بنى عليها محمد بن عبد الوهاب تعاليمه ، وهما :

١ – محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد بإشراك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى .

٢ – فتح باب الاجتهاد ، الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين .

أبو زهـــرة

تحدث الشيخ محمد أحمد أبو زهرة في كتابه « المذاهب الاسلامية » الذي ظهر في سلسلة « الألف كتاب » بمصر ، عن الوهابية حديثاً مستفيضاً، بدأه بالكلام عن جمود العقل وتقديس الفقهاء والصالحين، قال :

الوهابية ضد تقديس الاشخاص ..

« لقد اتسمت العصور التي جمد فيها العقل بتقديس آراء الأئمة المجتهدين كما أشرنا ، وكان من مظاهر ذلـــك : تقديس الصالحـــين في حياتهم وبعد مماتهم ، وزيارة أضرحتهم والطواف حولها بما يشبه الطواف حول بيت الله الحرام ، وكان من أثر ذلك أن قامت طائفة تحارب هذا وتشدد في محاربته متبعة في ذلك آراء ابن تيمية ، وقد أخرجتها من مرقدها ، بعد أن طمرتها السنون .

ظهرت الوهابية في الصحراء العربية ، نتيجـــة للافراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ونتيجـــة لكثرة البدع التي ليست من الدين ، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية .

فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية .

ومنشيء الوهابية .. درس مؤلفات ابن تيمية فراقت في نظره ، وتعمق فيها ، وأخرجها من حيز النظر الى حيز العمل ، وانهم في الحقيقة لم يزيدوا بالنسبة للعقائد شيئاً عما جاء به ابن تيمية ، ولكنهم شددوا فيها أكثر مما تشدد ، ورتبوا أموراً عملية لم يكن قد تعرض لها ابن تيمية ، لأنها لم تشتهر في عهده ، ويتلخص ذلـك فيما يأتي :

١ ـ لم يكتفوا بجعل العبادة كما قررها الاسلام في القرآن والسنة وكما ذكر ابن تيمية ، بل أرادوا أن تكون «العادات» أيضاً غير خارجة عن نطاق الاسلام، فيلتزم المسلمون ما التزم ، ولذا حرموا الدخان وشددوا في التحريم حتى ان العامة

منهم يعتبرون المدخن كالمشرك ..

٢ – وكانوا في أول أمرهم يحرمون على أنفسهم القهوة وما يماثلها، ولكن يظهر أنهم تساهلوا فيها فيما بعد .

٣ – ان الوهابية لم تقتصر على الدعوة المجردة بل عمدت الى حمل السيف لمحاربة المخالفين لهم باعتبار أنهم يحاربون البدع وهي منكر تجب محاربته ..

٤ – انها كانت كلما مكن لها من قرية أو مدينة أتت على الأضرحة هدماً وتخريباً، حتى لقد أطلق بعض الكتاب الأوربيين على الوهابيين وصف : « هدامي المعابد »، ولعل ذلك الوصف فيه بعض المبالغة ، لأن الأضرحة ليست معابد ، ولكن يظهر أنهم كانوا يهدمون المسجد مع الضريح أخذاً من الخبر الذي استنكر فيه النبي(ص) عمل بني اسرائيل إذ اتخذوا من قبور أنبيائهم مساجد .

ولم يقف عنفهم عند هذا فانهم جاؤوا الى القبور الظاهرة فهدموها ...

وتعلقوا بأمور صغيرة ليس فيها وثنية ولا ما يؤدي الى الوثنية وأعلنوا استنكارها ، مثل التصوير الفوتوغرافي ، ولذا وجدنا ذلك في فتاواهم ورسائلهم التي يكتبها علماؤهم وان كان أمراؤهم لا يلتفتون في هذا الى أقوالهم ويضربون بها عرض الحائط .

وانه يلاحظ أن علماء الوهابيين يفرضون في آرائهم الصواب الذي لا يقبل الخطأ ، وفي آراء غيرهم الخطأ الذي لا يقبل التصويب بل انهم يعتبرون ما عليه غيرهم من إقامة الأضرحة والطواف حولها قريباً من الوثنية ..

ولقد كان ذلك لا ضرر منه أيام أن كانوا قابعين في الصحراء لا يتجاوزونها .. وليس الأمر كذلك الآن .. وقد تصدى لهم الملك الراحل عبد العزيز آل سعود ، وجعل آراءهم لأنفسهم دون غيرهم ، وسار في هذا شوطاً بعيداً » .

قلنا : وهنا أيضاً كان الأحرى بالمؤلف أن يتكلم عن الغلاة ، الذين يوجدون في كل مكان ، وفي كل مذهب ، لا عن جمهور العلماء .

عبد الكريم الخطيب

وقال عبد الكريم الخطيب ، في كتابه : « محمد بن عبد الوهاب . العقل الحر والقلب السليم » المطبوع في مصر عام ١٩٦٠ ، في مقدمة الكتاب :

« ان الدم الذي أريق في سبيل الدعوة الوهابيـــة دم غزير عزيز على الاسلام والمسلمين ..

.. غير أن الحروب الوهابية .. قـد كان جانب الربح فيها أكثر من جانب الخسارة ، فيما عاد على الاسلام والمسلمين بسببها من خير كثير .

لقد أيقظت هذه الحروب مشاعر الأمة الاسلامية التي كانت قـــد خمدت ، وفتحت منها العيون التي عاشت زمنا طويلا في وطأة نوم ثقيل ..

كانت الحروب الوهابية معركة رأي

فما قاتل أصحابها ومـا قتلوا الا دفاعا عـن رأيهم الذي لم يحتمله العالم الاسلامي يومئذ فرماهم بالكفر والمروق عن الدين ، ورموه بالكفر والمروق عـــن الدين أيضاً ...

ولقد برئت الدعوة الوهابية من أن يختلط بها هوى أو يطيف بها زيف أو تمويه انها دعوة باسم الدين وللدين ، ما كان صاحبها ولا كان مناصروه يطمعون في شيء أكثر من تحرير العقل الاسلامي ، وتنقيـــة العقيدة الاسلامية من شوائب الشرك والضلال .

ويقول المؤلف ، في أواخر كتابه :

« دعوة محمد بن عبد الوهاب من الدعوات الناجحة بغير شك ، اذا كان مقياس النجاح مقدراً بالنتائج التي تجنى ، والثمرات التي تقتطف ، دون نظر الى الأخطاء التي وقعت عبر الطريق الى الغاية ...

.. اذ خلقت في المجتمع الاسلامي وعيا كان ضائعا ونبهت احساسا كان خامدا

وفتحت بصائر كانت مغلقة ..

... ثم ان الدعوة الوهابية من جهـــة أخرى حملت الناس على أن يقلبوا وجوه الرأي وان يرجعوا الى ما خلف السلف من آراء وسنن فكان أن أنتهوا آخر الأمر الى الينابيع الأولى للاسلام يصدرون عنها جميعاً فبدأت وجهات النظر تتلاقى على حين أخذت شقة الخلاف تضيق ، حتى صار الأمر الى مـــا نراه اليوم من وحدة تتلاقى عندها جميع الأنظار .

وغير خفي أن الدعوة الوهابية قد اشتطت كثيرا في حملتها على جمهور المسلمين وفي تسفيه كل ما كان عليه المجتمع الأسلامي مما يتصل بالعقيدة ، ونستطيع أن نقول إن هذا الشطط ربما كان شيئا لازما، بل ربما كان أمرا مقصودا دعا اليه الحال التي بلغها المسلمون يومذاك، وربما كان صاحب الدعوة قد أدرك أنه اذا أخذ بدعوته طريقة الاعتدال لم ينتبه اليه أحد ممن غشيتهم الغفلة وران عليهم الجهل ..

وأنه لكي يلفت أنظار المسلمين في كل مكان ، كان عليه أن يبالغ في مقررات الدعوة ... وأن يشتط في تغليظ البدع والمنكرات .. »

ويتحدث المؤلف بعد ذلك عن أسباب نجاح الدعوة ، فيلخصها في ايمان صاحب الدعوة ، وثبات أنصاره ، وبيئة الدعوة .

لويس شيخو

كتب الأب لويس شيخو ، مقالا في مجـــلة « المشرق » ، التي يصدرها الآباء اليسوعيون في بيروت ، عام ١٩٢٠ ، تحدث فيه عن نجد ، ومما قاله :

« .. كان الدين بينهم في انحطاط حتى أضحى اسماً فارغاً..وبقوا على ذلك ردحاً من الزمن حتى قـــام بينهم « محمد بن عبد الوهاب » .. ينفخ في مواطنيه روحا جديدة ، اقتبسها من أصول الدين الاسلامي مجرداً عمـــا نسبوه اليه من النوافل

والبدع .

وينحصر مذهب الوهابيين في الاقرار بوحدانيـة الله ، واتباع سنة النبي ، وهم في مسائل الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج كسائر المسلمين . »

ثم تحدث الأب شيخو عـــن الأشياء التي انفرد بها الوهابيون فجـاء بالعجب العجاب ، مع أنه عربي ويعيش في القرن العشرين ، فقال ان الوهابيين يمنعون عن ذكر النبي في الشهادتين ، ويحظرون على الناس اكرام النبي والأولياء ، ويمنعون شرب القهوة .. ثم قال :

« كان « الشيخ » اتخذ له شورى متألفة من ٢٤ صاحبا يتجولون في أحياء البلد ويوقفونه على أدنى مخالفة لهـــذه الفرائض ، فيوجب على المذنبين الحـد ويضربهم بالسياط ويغرمهم الغرائم الطائلة [1] .

ولمـا رأى مـا قام في وجهه من العوائق لبلوغ غايته .. عرف أنه لن يفوز الا بامتشاق الحسام ومراعاة أخلاق العربان.. بالحض على شن الغارات وتهييج المطامع في اغتنام الغنائم .. »

جمال الدين الشيال

وتحدث الدكتور جمال الدين الشيال عن الحركة الوهابية حديثاً غير قصير في كتابه: « محاضرات عن الحركات الاصلاحية ومراكز الثقافة في الشرق الاسلامي الحديث » .

ومما قاله :

« الحركة الوهابية أولى الحركات الاصلاحية التي ظهرت في الدولة العثمانية، أو

---

١ – يعني الكاتب بالشوري : المطوعين ، ولا وجه لتسميتهم بهذا الاسم .

بمعنى أصح بين الشعوب العربية الخاضعة للدولة العثمانية وستتلوها حركات إصلاحية أخرى تنبثق في أجزاء أخرى من العالم « الاسلامي » ، بعضها مشابــه للحركة الوهابية وبعضها متأثر بها آخذ عنها ...

وظاهرة أخرى تميز هذه الحركة هي ظهورها في إقليم نجد ، في تلك المنطقة الصحراوية المباركة حيث انبثق نور الاسلام الأول ، والبيئة الصحراوية كانت دائماً أصلح البيئات لظهور الدعوات الاصلاحية وخاصة تلك التي تدعو الى دين جديد ، أو التي تقوم على أساس من الدين ، فهذه البيئة تكون عادة بعيــدة عن مؤثرات المدنية ، وعن حياة الحضر التي أفسدها الانغماس في الترف ، وسكان هذه البيئة يكونون عادة – لبساطتهم وبداوتهم – أكثر تقبلاً لمثل هذه الدعوات الإصلاحية التي تدعو الى التقشف والبساطة والجهاد والمثل العليا » .

أمين سعيد

ويقول الاستاذ أمين سعيد ، في كتابه : « هذا هو كتاب سيرة محمد بن عبد الوهاب » :

« حققت الدعوة لنجد آمالها ، وقد بدأت في محيطها ، أول ما بدأت، فأنشأت لها مجتمعاً إسلامياً سليماً ، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه ويسير على هداه ولا يدعو مع الله أحداً .

ولا يزال هذا حاله ، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هـذا ، فهو يصدع بالحق ويؤمن به .

وانبثقت عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعـد دولة الخلفاء الراشدين ، فاتبعت طريقهم وترسمت خطاهم ، فسادت وشادت .. »